اسم الرواية: **سديم**

اسم المؤلف: **حسن السيد**

تدقيق لغوي: **هاجر علي**

تصميم الغلاف: **محمد دربالة**

تنسيق داخلي: **أسماء عطا**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٦٦٤**

الترقيم الدولي : **٩٧٨٩٧٧٨٤٤٢٠١٤**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.
وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

E-mail: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

حسن السيد

سيدة الياسمين

رواية

ما قبل البداية

وقفت شمعة وحيدة يتراقص لهبها تلقي بضوئها على هذه الوجوه الثلاثة المترقبة مبددةً ظلام هذا المكان المقفر الخالي من كل شيء إلا الظلام.

كان التوتر والخوف يعصفان بالحاضرين وفجأة قطع السكون صوت مدوٍ يشبه الانفجار، ثم ظهرت بقعة من السواد الذي طغى على ظلام الموجودات مغلفًا المكان بالكآبة والصدور بالثقل.

كانت كتلة سوداء عظيمة بلا ملامح تقريبًا وما بدا أنه عينان مرتكزتين على الشخص الواقف في المنتصف بادي الأهمية والخوف، تكلم ذلك الكيان فخرج صوته متحشرجًا كأنه ناجم عن احتكاك القطع المعدنية ببعضها..

"تكلم وإلا حل عليك الهلاك لإزعاجك خادم السيد الأمين"

(١)

إنهم هنا!

اصطبغت السماء باللون الأزرق القاني معلنة حلول يوم جديد على مملكة كنيابون، وقف الأمير الشاب أعلى القصر الملكي المعروف للعامة بالحصن الأسود متأملًا مملكته، تلك المملكة مترامية الأطراف ذات الحقول الخضراء الممتدة إلى ما لانهاية، الأنهار التي تجري فيها كشريان للحياة والشلالات بارعة الحسن والجمال وكأنما كل أسرار الطبيعة قد اجتمعت في هذه البقعة لتجعلها جنة الله في أرضه.

كانت هذه الأفكار تدور في رأسه حتى قطع عليه تأملاته صوت أحد الحراس

- "سيدي الأمير الملك يحتاجك في قاعة العرش".

تمتم وهو يهم بالانصراف مع الحارس

- "يا للروعة! ملكنا العظيم طارش بن كنعان يحتاجني في أولي ساعات النهار، لابد أن حدثًا جللًا ينتظرني".

كانت قاعة العرش عبارة عن بهو فسيح عُلقت على جدرانه في الجانب الأيسر الكثير من الجداريات التي تصف عظمة المملكة وما خاضه حكامها من حروب وما عملوا من إنجازات، بينما احتلت جدارية عظيمة

الجانب الأيمن رُسم عليها كل ملك من ملوك آل طارش الذين شيدوا هذه المملكة منذ ٣٥٠٠ عام.

وفي المنتصف تمامًا يوجد منصة دائرية وضع عليها ما بدا أنه طاولة اجتماعات مهيبة نُحت فيها صورة حية للمملكة ترى فيها الحصون والقلاع والجبال والوديان وحتى أوكار الحيوانات استقر عليها الملك ومستشاريه الستة.

أمام باب القاعة الذهبي وقف حاجب الملك معلنًا وصول الأمير "سيدي الأمير أوار يطلب إذن سيادتكم في الدخول".

خفض الملك رأسه علامة الموافقة "دعه يدخل نحن في حاجة ماسة إليه".

دخل أوار مبتسمًا كعادته عندما يستدعيه الملك، تقدم من الطاولة ثم انحني تحية للملك

-"جلالة الملك.. أيها السادة يسعدني الوقوف بين أيديكم".

على يمين الملك جلس أخ الأمير غير الشقيق برقان مستشار الملك الحربي وعن يساره جلس المعلم الأكبر آصف بن ميخائيل الذي ينحدر نسبه إلي السيد آصف بن برخيا المؤسس العظيم لهذه المملكة والذي عهد بها إلى آل طارش من قبيلة العفاريت، بينما أحاط باقي المستشارين بالملك مكونين دائرة.

قال الملك

- "بني أخشى أن الأمر في غاية الخطورة"

ثم نظر ناحية المعلم آصف الذي أكمل "لقد هُوجم أحد الحصون وأخشى أن المولد الموجود في ذلك الحصن قد تضرر مسربًا طاقته عبر

الحاجز إلى كل الأبعاد، إنها مسألة وقت قبل أن ينتبه أحد لهذا التسرب حتى يخترق الحاجز منتقلًا لأي بعد يريده".

ارتسمت علامات الدهشة والخوف على وجه أوار

-"ولكن كيف حدث هذا؟ كيف استطاع أحد تجاوز الحراس؟ "

نظر إليه الملك بيأس

- "لم يصلنا أي أخبار من الحراس وكأنهم قد اختفوا، لقد عرفنا ما حدث عن طريق تسرب الطاقة الذي حدث وعلينا الآن الإسراع في إصلاح ذلك الصدع ثم القلق بشأن الحراس"

ارتسمت علامات الجدية والتحفز على وجه أوار وقال

-"سوف أغادر إلى ذلك الحصن الآن هل سترافقني يا أخي؟"

-"معذرة يا جلالة الأمير يجب أن أعنى بتجهيز المقاتلين للتصدي لأي عملية اختراق محتملة أتمنى لك رحلة سعيدة إلى أكنان كانوم".

-"أتمني ذلك ايضًا"

(٢)

أكنان كانوم

تقع قرية أكنان كانوم في الشمال الشرقي للمملكة، تُعد هذه القرية إحدى القرى الاثنا عشر الذين يوجد بهم المولد الجذبي.

المولد الجذبي إحدى ابتكارات السيد آصف بن برخيا حيث تقوم تلك المولدات بإنتاج حقل من الطاقة يسمي بالحاجز، يُبقي كنيابون محجوبة عن جميع الأبعاد ونظرًا لمكانها الذي يتوسط الأبعاد منحها الحاجز سلطة لامتناهية على تلك الأبعاد.

-"خلال سنوات حياتي التي قاربت المائة لم يحدث أن تجرأ أحد على المساس بهذه المولدات!"

أسر بها أوار لنفسه وهو في طريقه إلى خارج القصر.

بمجرد أن خرج وجد حارسيه دنهش وطلمش وهما يتناكفان كالعادة، نظر إليهما مطولًا ثم ضحك "إن اصطحاب الأطفال معي سيكون ذو ثمار عنكما" صاح بها أوار وهو يبتسم، ابتعد كل واحد منهم عن الآخر وبدا الخجل واضحًا عليهما حيث أن الأمير قد رآهما، ضحك الأمير وربت على كتف كل واحد منهم

-"إنني أمزح معكما هيا الآن لدينا عمل هام نقوم به".

تنفس كل منهما الصعداء وركبا مع الأمير في المركبة الخاصة به بينما استقرت فرقة عسكرية في المركبة الأخرى.

كانت المركبات عبارة عن طوافة أو حوامة لكن بلا سقف تم الاعتماد في تصميمها على أجهزه خاصة تجعل الهواء يحيط بالمركبة كفقاعة كبيرة ولا يحتك بها اطلاقًا، بينما في المؤخرة توجد محركات دفع عالية القدرة قائمة علي الانشطار النووي مما جعلها أسرع من الصوت أحد عشر مرة، أثناء الرحلة أخذ أوار يتأمل الجبال والسهول والحيوانات الموجودة في المرعى.

البيوت وقومه، إنهم رعاياه، يومًا ما سوف يؤول إليه مصير كل هؤلاء، أصابته هذه الأفكار بالخوف من المستقبل المجهول عندما أخرجه من هذه الأفكار صوت طلمش وهو يناديه

-"جلالة الأمير لقد وصلنا إلى الحصن".

كان حصن أكنان كانوم واحدًا من اثني عشر حصنًا متفرقين في جميع أنحاء المملكة صممت خصيصًا لتحتوي المولدات الخاصة بالحاجز، كان الحصن أو كما يسميه السكان المحليون المعبد.

وهو عبارة عن بناء هرمي الشكل يبلغ ارتفاع الوجه الواحد منه ٢٠٠ متر تقريبًا، استقرت على كل وجه مئات الدرجات وفي أعلي القمة يوجد بناء ضخم يشبه المربع له أربعة أبواب يمكن الوصول لكل باب على حدة عن طريق وجه الهرم المقابل إليه، باب واحد منهم يقود إلى الطريق الصحيح أما البقية فيقودون إلى الفخاخ المنتشرة في الحصن كوسيلة حماية من المتطفلين حيث يستحيل علي أي أحد الوصول إلى المولد إلا الموكلون به.

ترجل أوار من المركبة ومن خلفه دنهش وطلمش كظليه.

جال بناظريه في المكان، لم يكن في المكان أثر لحدوث أي اشتباك أو محاولة لاقتحام الحصن، كانت الأسلحة التي تستعملها حامية المعبد عبارة عن أسلحة بلازمية تترك أثرًا من أيونات الهيدروجين في المكان بعد مدة من استخدامها، بحث أوار عن أي أثر لها لكنه لم يجد!

الأمر الغريب أن كل شيء من حولهم يبدو طبيعيًا..

طبيعيًا بصورة مبالغ فيها!!

ذلك بالطبع باستثناء اختفاء كل الحرس عن بكرة أبيهم، ما أن اقترب أوار من باب السور الخارجي المحيط بالمعبد حتى أبصر رسائل المعلم آصف التحذيرية المحفورة في صخر الباب منذ آلاف السنين.

Այսինքն՝ փորձում եմ հատել"

Ես գիտեմ, որ ձեր սիրտը հենց այստեղ է, դուք մեծ նախարարի ներկայությամբ եք, մտեք խաղաղության մեջ և թողեք խաղաղության մեջ"

-"يا من تحاول العبور اعلم أن قلبك ها هنا موزون، أنت في حضرة السيد آصف - وزير الملك العظيم- أدخل في سلام وغادر في سلام وإلا حلت عليك اللعنة".

إن أجسام الجان عبارة عن موجات كهرومغناطيسية، كل فصيل منهم ذو تردد معين، وبهذه الطريقة صمم السيد آصف مملكة كنيابون لتناسب العفاريت وقام بطلسمة بوابات معينة يمكن من خلالها لأي قبيلة من قبائل الجان الأخرى أن تبصر المملكة أو تدخلها عن طريق دعوة من أولياء الحكم فقط ومرورهم في تلك البوابات التي تضيف ترددهم طوال فترة تواجدهم.

كان باب المعبد يشبه آلة رصد عملاقة تقوم برصد الترددات المختلفة وتسمح فقط بمرور الترددات المُصرح بها، في هذه الحالة المسموح به هو مرور العفاريت فقط.

ما إن خطا أوار داخل الباب العملاق حتى أضاءت النقوش الموجودة على جانبي الباب مغيرة مكانها لتكتب..

"Դուք ապրում եք խաղաղության մեջ, և արդար ղեկավարեցիք Թարեշը"

-"جلالة الأمير أوار مسموح بمرور آل طارش العظماء"

حدثت نفس الخطوات مجددًا أثناء عبور كل من دنهش وطلمش وباقي أعضاء الفرقة العسكرية المصاحبة للأمير، أثناء مرورهم متوجهين إلى السلالم لاحظ أوار أن المناطق التي يُفترض وقوف الحراس بها مُصطبغة بطبقة من اللون الأرجواني القاتم، شتت انتباهه دنهش وهو يقول "سيدي انظر إلى اتجاه الأسلحة!"

كانت الحصون المنتشرة على طول الحاجز تحتوي في تصميمها على كُوات – فتحات–جانبية كونت ما يشبه الدائرة تحيط بالحصن من جميع الإتجاهات وُضع بها مدافع طويلة المدى لإجهاض أي محاولة للهجوم عليه، بالإضافة إلى أسلحة إكتوبلازمية ما إن تتلقى قذيفة منها حتى تضيع تائهًا في الأبعاد إلى الأبد.

نظر أوار إلى الأسلحة فوجدها كلها تشير إلى أعلي!

ارتسمت الجدية والدهشة على قصمات وجهه وهو يهمس إلى دنهش

– "إما أن الشيء الذي هاجم المعبد جاء من السماء أو أنه صديق جاء بلا إعلان مسبق".

–"هيا إلى الداخل!"

صاح بهما أوار وهو يتقدمهما داخلًا إلى ساحة المعبد، على الفور تبعه دنهش وطلمش، بينما وقفت الحراسة المصاحبة لهم في الخارج بناءً على إشارة من يده تحسبًا لأي مفاجأة، صعد الأمير درجات السلم المؤدية إلى الأعلى ومن خلفه مرافقاه دون أن يتفوه أحدهما بكلمة، كان عقله يحاول أن يحلل هذه المعطيات حتى تصلُح لحل ذلك اللغز.

–أيعقل أن يكون الحراس هوجموا من كيان أقوي منهم؟

–ولكن لو صح ذلك فكيف دخل إلى المملكة من الأساس؟

آلاف وآلاف الأسئلة كانت تشغل عقله في اللحظة التي وصلوا فيها إلى الأعلى، دخلوا من الباب الموجود على اليسار والذي لم يكن إلا حائطًا وهميًا يُخفي الباب الحقيقي خلفه متجنبين الأبواب الأخرى الموضوعة لاجتذاب الفضوليين، استغرقهم الأمر عدة دقائق حتى وصلوا إلى جوف

المعبد حيث يفترض بالمولد أن يكون، كانت هناك المزيد من البقع الأرجوانية تلك حيث يفترض أن يتواجد الحراس بينما انتشرت خطوط بيضاء من الطاقة تتسرب من غرفة المولد أخذت تزداد تدريجيًا مع اقترابهم من مرادهم.

دخل أوار إلى غرفة المولد وفجأة سقط أرضًا فاغرًا فاهه من هول ما رأى!!

-"يا للسماء!" قالها دنهش وهو يساعد الأمير على النهوض "يا إلهي ماذا حدث هنا؟!"

لم يكن المولد متضررًا كما خيل لهم ، بل لم يكن موجودًا من الأساس!

بدلًا منه كان هناك ثقب يشبه إلى حد ما الثقب الدودي يخرج منه كل بضع ثوان ومضات من الطاقة.

استدار أوار وصاح في رفيقيه قائلًا

-"علينا إغلاق المعبد حالًا!"

أخذ الأمير يهرول خارجًا من المعبد حتي تقطعت أنفاسه ومن خلفه كل من دنهش وطلمش الذين شلتهم المفاجأة تمامًا عن إبداء أي رد فعل، وقف أمام الجنود الذين هالهم رؤية الأمير علي هذه الحال وصاح بهم

-"علينا إغلاق المعبد حالًا، لا أحد يدخل أو يخرج، يجب أن يعلم الملك بما حدث هنا".

ثم التفت إلى مرافقيه وقال

- "إلى المركبة الآن".

ما إن استقر أوار في المركبة حتى سأله دنهش الذي احتل مكان القيادة

-"إلى أين نتوجه يا سمو الأمير؟"

أطرق أوار رأسه للسماء مفكرًا قبل أن يجيبه

-"إلى حصن مِيجور علينا أن نعلم إلى أي مدى ساء الوضع".

(٣)

إيجريتين

تقع قرية إيجريتين في أقصى جنوب المملكة في منتصف الحاجز تمامًا، حيث ترجع أهميتها إلى احتوائها على حصن مِيجور أولى الحصون التي أنشأها السيد آصف، والمكان الوحيد الذي يمكن من خلاله مراقبة الحاجز والثغرات الموجودة بين الأبعاد.

استغرقهم الأمر قرابة الساعة حتى كان الأمير يترجل من المركبة قاصدًا الحصن العظيم، ما إن رآه الجنود حتى انحنوا له إجلالًا.

أخبره قائد الحرس أن القائد أبانوخ ينتظره في غرفة الاستطلاع بعد محادثته مع القصر.

كان حصن مِيجور ثاني أكبر الحصون في المملكة بعد القصر الملكي، كان عبارة عن جبل ضخم تم تجويفه من الداخل وتُركت قشرته الخارجية الصلدة كما هي، داخل هذه التجاويف نُحت الحصن العظيم بدرجاته وغرفه الكثيرة والذي يعد مرصدًا عملاقًا لمراقبة الأبعاد ورصد أي شذوذ قد يحدث بها والمحاولات الخرقاء لاقتحام الحاجز أو التنقل بين الأبعاد.

كانت غرفة الاستطلاع في أعلى الحصن على قمة الجبل مباشرة.

قاد الجنود أوار ومرافقيه إلى مصعد موجود في قلب الجبل كان هو السبيل الوحيد لبلوغ غرفة الاستطلاع بجانب الدرجات الخارجية والتي لم يكن الوضع يسمح بإستعمالها، ما هي إلا دقيقة وكان الأمير وحارساه يقفون علي باب غرفة الاستطلاع.

اقترب منهم القائد أبانوخ مقدمًا لهم التحية والذي كان واقفًا أمام باب المصعد منتظرًا إياهم.

صافح الأمير وقال

-"أهلًا بك سمو الأمير، أخشى أن الأمور لم تكن بهذا السوء من قبل، اسمح لي أن أريك" ثم تقدم أوار ومرافقيه دنهش وطلمش إلى داخل غرفة الاستطلاع.

ما إن خطوا إلى داخل الغرفة حتى اقترب القائد أبانوخ من شاشة عملاقة احتلت الجدار أمامهم بالكامل كانت تظهر الحصون والقلاع التي تحتوي علي المولدات، أخذ يضغط على بضعة أزرار من لوحة المفاتيح المتصلة بالشاشة، وما إن انتهي حتى تغيرت الصورة أمامهم وظهر ما يشبه الرسومات البيانية للحاجز، كان الأمر أشبه برسم منحنيات للطاقة التي ترتفع في نقطة وتنخفض في أخرى.

أخذ القائد يُقرب الصورة وهو يشرح للأمير...

-"إن عالمنا الذي نعيش به يتكون في الأساس من أربعة أبعاد متوازية يشغلون نفس الحيز الأثيري في كوننا المنظور، البعد العلوي وهو الخاص بالملائكة، البعد الأرضي وهو الخاص بالبشر والمخلوقات الحية الأخرى الموجودة على كوكبهم ويناظره البعد الموجي الذي يتكون في الغالب من

موجات أقل في ترددها من موجات الضوء المنظور لذلك تعجز أعينهم عن رؤية الجان وإن كانت أجهزتهم تستطيع التقاطهم في بعض الأحيان".

-"ينقسم هذا البعد داخليًا لقسمين وهما البعد المعمور والذي يتألف من ممالك الجان السبع، وبعض القرناء الموكلون بالبشر، أما البعد الرابع والأخير فهو البعد السفلي الذي يشغله الشياطين وأوائل الجان الذين عاثوا في الارض فسادًا قبل أن يتم نفيهم، كل هذه الأبعاد بتشعباتها تتصل جميعًا في نقطة واحدة وهذه النقطة هي كنيابون، ولكن ما الذي يجعل مملكتنا مختلفة؟

-إنه الحاجز، فهو يحجبنا عن أعين كل الأبعاد وبالتالي فإن استقرارنا مرهون ببقاء استقرار الأبعاد حيث يستحيل العبور من بُعد إلى بُعد إلا عن طريقنا لكوننا نقطة الاتصال الوحيدة بين العوالم".

الآن لنتحدث عن الحاجز، يتكون الحاجز من قطاعات، كل قطاع منفصل عن القطاع الآخر وبهذه الطريقة لا يمكن إيقاف الحاجز أبدًا إلا إذا قمت بإيقاف كل المولدات دفعة واحدة.

الآن يوجد اثنا عشر قطاعًا مما يعني اثنا عشر مولدًا وكل قطاع من هذه القطاعات يمثل في الأساس نقطة التقاء ما بين كنيابون وأحد الأبعاد الأربعة وبالتالي نقطة اتصال ما بين هذا البُعد وباقي الأبعاد..

يُرمز لكل قطاع منهم برقم تسلسلي معين مثلا ١/ ١٢ ، ٢/ ١٢، وهكذا إذا لدينا أربعة أبعاد واثنا عشر قطاعًا موزعة بالسوية علي الأبعاد

كل من القطاع (١،٢،٤) تمثل نقط اتصال مع البعد العلوي.

أما القطاع (٣،٥،٧) تمثل نقاط اتصال مع البعد الأرضي.

و(١٠،٨،٦) تمثل نقاط اتصال البعد الموجي.

وأخيرًا (١٢،١١،٩) تمثل نقاط اتصال البعد السفلي.

والآن..

يمثل قطاع أكنان كانوم القطاع رقم٧/ ١٢، أي إنه أحد القطاعات الواقعة في الحيز الارضي".

ذُهل أوار تمامًا وبدت آثار الضيق على قسمات وجهه وهو يتحدث غاضبًا

-"ماذا؟ البشر! لكن..لكن هذا مستحيل، إنهم غير مؤهلين بالمرة للتعامل مع مثل هذه التهديدات".

قال أبانوخ

- "أخشي أنهم - وفي ظل غياب المولد- معرضين لطمع كل الأبعاد وبخاصة أولئك المنبوذون في أبعادهم الخاصة، بما أنه لا يوجد أحد أحمق بما فيه الكفاية ليهاجمنا"

ظل أوار صامتًا قليلًا يفكر ثم أفاق من شروده وتحدث لمن حوله قائلًا

-"علينا التصرف سريعًا، يجب أن يتم حمايتهم، أيها القائد أبانوخ أرسل كافة التقارير إلى القصر الآن".

خفض أبانوخ رأسه علامة الموافقة ثم انصرف ليمتثل إلى الأمر.

-"طلمش؟"

-"سيدي الأمير".

-"أرسل رسالة إلى القصر أخبرهم بانعقاد المجلس الآن".

(٤)

من أجلنا

كان الظلام قد حل عندما عاد الأمير إلى القصر، لم يلبث أن دخل إلى غرفة العرش، حيث بدت الكآبة والخوف والترقب على كل الوجوه المكفهرة.

ما إن دخل حتى قام الملك من مقامه يستقبله بنفسه،

-"أوار بني ماذا حدث؟"

نظر إلى أبيه بعيون مليئة بالحزن وقال

- "نحن لا نعلم يقينًا ماذا حدث هناك ولكن يبدو أننا خسرنا أكنان كانوم".

-"لكن كيف يعقل هذا؟!"

صاح به الملك واليأس يتملك منه

حاول أوار أن يتماسك وهو يقول

-"أيًا كان الشيء الذي هاجم المعبد فقد كان من داخل المملكة، وذو علم بكل دفاعاتنا" أزدرد ريقه بصعوبة ثم أضاف "لقد استعمل نوعًا غريبًا من التكنولوجيا خلقت ما يشبه الثقب الأسود والذي قام بدوره بابتلاع

المولد المسؤول عن القطاع ٧/ ١٢ مما يعني وجود فُرجة في الأبعاد تكفي لعبور أي شيء إلى الأرض".

كان تأثير كلماته يشبه تأثير رمي حجر في المياه الراقدة، خر الملك صعقًا علي كرسيه عقب سماعه لتلك الكلمات

- "يا إلهي، إنهم لفي خطر محدق!"

وضع المعلم آصف بن ميخائيل يده علي كتفه مُطمئنًا، ثم نهض من مكانه مخاطبًا الملك

-"سيدي! يجب أن نتدخل ويجب أن تعلم كل الأبعاد أن الأرض خاضعة لنا وتحت حمايتنا، يجب أن يتم إرسال أحد إلى هناك وعلى الفور".

كاد الملك أن يرد لولا أن أوار قاطعه قائلًا بصوت لا يحمل أي درجة من درجات التردد

-"أنا سوف أذهب".

كان الغضب جليًا علي ملامح الملك "هذا مستحيل! لن أرسل ولدي وولي عهدي إلى منتصف ساحة المعركة".

قال أوار برقة

-" أبي العزيز لقد صنعت مجدك الخاص، مجد لا يمكن لأي ملك بعدك أن يصل إليه وحفرت اسمك بين طيات التاريخ بدماء أعدائنا وهذه هي فرصتي حتى أصنع مجدي الخاص".

-" لن أوافق على هذا الهراء!"

صاح بها الملك وهو يشيح بعينيه بعيدًا عنه.

-"سيدي الملك"

تنهد المعلم قبل أن يسترسل

- "ربما لا تكون هذه الفكرة سيئة في النهاية".

-"كيف لا تكون فكرة سيئة؟!"

تمتم بها الملك مندهشًا.

-"كما تعلم سيدي أن أوار شغوف جدًا للقراءة وبخاصة عن تلك الأجناس التي تعيش في الأبعاد حولنا، إن معرفته بأهل الأرض أكبر سبب يحثنا على إرساله، أنه يعلم عنهم كل شيء تقريبًا وسيكون سهلًا عليه الاختلاط بهم والتأقلم".

-"ثم من خيرًا من الأمير شخصيًا حتي يُذكر من تسول له نفسه أن قبيلة العفاريت هنا وتراقب الجميع".

أكمل أوار محاولًا الضغط على الملك حتي يلين

-" ثم إني لن أذهب وحدي سوف أصطحب معي دنهش وطلمش وأنت تعلم مقدار بأسهما" كاد الملك أن يعترض ثانيةً لولا أن قاطعه المعلم موجهًا كلامه لأوار

-"حقًا إني أرى والدك فيك الآن بعناده وشجاعته".

-"سيدي الملك إني أناشدك أن تدعه يذهب وسوف أقوم بكل الترتيبات بنفسي"

أخذ الملك ينقل ناظريه بين المعلم وأوار الذي أظهر الحماسة والتحفز، ثم وبكلمات تنم عن الضيق قال

-" حسناً سوف يذهب"

في هذه الليلة لم يستطع أحد أن يغمض جفنيه ولو للحظة واحدة.

كان القصر أشبه بخلية نحل عملاقة، الكل يعمل على قدم وساق من أجل تجهيز الأمير للرحلة المرتقبة التي من شأنها تحديد مصير البشرية قاطبة

في ساعات الفجر الأولى، كان أوار يهبط من غرفته متوجهًا للمعلم آصف ليذهبا معًا إلى (ريفن)

كانت ريفن واحدة من البوابات القليلة الموجودة في كنيابون التي من خلالها يمكن السفر عبر الأبعاد حتى وإن كان من غير دعوة من هذا البعد، وقد كانت هذه البوابات حكرًا على آل طارش وكبار القادة.

في البهو الكبير أسفل السلم وقف المعلم آصف منتظرًا أوار وعلى كتفه كانت تتحرك عباءة قرمزية اللون تشبه إلى حد كبير عينيه الثاقبتين بفعل نسيم الفجر العليل.

ما إن اقترب منه أوار حتي ذهب إليه واضعًا يده علي كتفه، مخاطبًا إياه بصوت يكسوه الحنان والشجن

- "إنها مهمة صعبة جدًا تلك التي اخترتها، لكننا واثقون من أنك الشخص المناسب لها".

ابتسم الأمير لهذه الكلمات محاولًا تجاهل القلق الذي أخذ يغزو ملامحه.

كانت ريفن تقبع في جوف القصر وتحديدًا في القبو.

أثناء الطريق أخذ المعلم يصف لأوار البعد الأرضي وما ينتظره فيه من أحداث.

-"لقد اخترت لك تنكرًا يشبه إلى حد كبير أشكال هؤلاء الأرضيون، كما زودناك ببعض الأسلحة التي سوف تحتاج إليها".

لم يكن أوار يجيب إلا بهز رأسه من وقت لآخر.

وفجأة التفت المعلم ليقف مواجهًا له و أمسك بيده ونظر في عينيه مباشرة والقلق يترقرق في عينيه

-" أوار يجب ألا يعلم أحد من أعدائنا أنك هناك وإلا سوف يسعون جاهدين للوصول إليك، مهما حدث لا تترك علامة مباشرة عليك!"

نظر إليه أوار بعينين تحملان من الحب والاحترام لمعلمه ومربيه الخائف عليه...

-"لا تخف يا معلمي سوف أكون بخير".

ما إن أنهى الأمير جملته الأخيرة حتى كانوا أمام باب القبو حيث يفترض بالبوابة أن تكون

مر أوار بدنهش وطلمش الذين تحركوا معه- كظله- داخلين إلى القبو حيث كان الملك واقفًا ومعه برقان منتظرين.

ما إن أبصر الملك أوار حتي تقدم ناحيته، أحاط وجهه بين يديه

- "بني العزيز عد إلى سالمًا".

ثم قام بخلع قلادته وأعطاها لأوار

-"إياك أن تنزعها مهما حدث فهي في أوقات الشدة سوف تحميك"

انحني أوار مقبلًا يدي الملك

-"لا تقلق يا أبي سوف أحرص أن يمر الأمر بسلام".

ثم توجه ناحية أخاه وعانقه بحرارة، والذي تمني له رحلة آمنة بدوره.

قاطع صوت المعلم الجهوري هذه المشاعر المتدفقة

- "سيدي الملك سيدي الأمير ريفن جاهزة!!"

كانت ريفن عبارة عن ممر أو طريق اسطواني ضخم من أحجار الكوارتز، تحيط بها الكثير والكثير من الأسلاك المتصلة بمولدات الطاقة بالإضافة لمولدات الطاقة الكهرومغناطيسية المنتشرة علي جانبيها، كل ذلك حتى يتم التأثير على ترددات الأجساد لجعلها متقاربة في الشكل والصفات لسكان البعد المراد.

صعد الأمير ومرافقاه الدرجات الثلاثة المفضية إلى الممر بخطوات واثقة، قال المعلم آصف

-"سيدي الأمير قد تكون الرحلة مرهقة قليلًا أرجو أن ترتاح بمجرد الوصول"

هز أوار رأسه موافقًا

قام المعلم بالضغط على بعض الأزرار فانبعث من نهاية النفق نور قوي بدا كأنه دوي انفجار نجمي.

وما إن خطى أوار ومرافقوه إلى الداخل حتي اقترب ذلك الوهج محيطًا بهم من كل حدب وصوب، وانفصلت منه خطوط بيضاء من نور أخذت

تضرب أجسامهم في أكثر من موضع، استمر الأمر قرابة الثلاثة دقائق حتى اختفت أجسامهم تمامًا، ومعها اختفي الضوء.

(٥)

مدينة الضباب

ظلام ولا شيء إلا الظلام.

فتح أوار عيناه بصعوبة والألم يعصف بهما وثقل رهيب يكتنفهما وكأن أجفانه تزن طنًا!

صداع عنيف ينتهك خلايا وتلافيف عقله ، استغرق الأمر منه قرابة الدقيقة حتى استطاع فتح عينيه أخيرًا ودقيقة أخرى حتى تتكيف عينيه مع الظلام المحيط، فور أن اتسعت حدقتا عينيه معتادة الظلام حتى بدأ في تمييز بعض الموجودات أمامه، كان راقدًا في غرفة صغيرة علي ما يبدو، لم يستطع أن يميز غير السرير الذي استند عليه.

صدرت من خلفه آهة خفيفة فالتفت ليطالع شبحين يحاولان النهوض استند على السرير ليمنع نفسه من السقوط إثر هذا الغثيان الذي عانى منه.

-"دنهش..طلمش..هل هذا أنتما؟"

صاح بها وهو يستقيم في وقفته متجاهلًا ذاك الدوار.

جاءته الإجابة منهما في نفس اللحظة

- "نعم يا سيدي هذا نحن".

اطمأن قلبه

- " لقد نجحت عمليه النقل اذًا"، كاد يكمل كلامه لو لا أن قاطعه شيء يومض على معصمه.

نظر إليه مطولًا فلم تسعفه ذاكرته ثم قام بالضغط عليه وما هي إلا برهة حتى انطلق منه نور كاد أن يصيبهم بالعمى لشدته.

على الفور وضعوا أيديهم على أعينهم التي كانت تحرقهم بشدة.

استغرقهم الأمر بضع ثوانٍ حتى اعتادوا الضوء الذي أخذ يخبو تدريجيًا.

على هذه الإضاءة ميز أوار مجموعة من الأزرار على الحائط المقابل فطلب من دنهش الذي كان بجوارهم أن يضغط عليهم.

أضاءت الغرفة بنور مريح للعين أكثر من ذلك الذي انبثق من ذلك السوار الكامن على معصمه، تجلت ملامح الدهشة على وجوههم وهم يطالعون هذا التغيير الجذري الذي حدث لهم.

كان دنهش عفريتًا عظيمًا كما ينبغي للعظمة أن تكون، من بني الحارس هو والتي تعد إحدى القبائل الأربعة التي يقع منها اختيار حراس الأمير، كان شديد الطول يناهز الستة أقدام طولًا والاثنين عرضًا، ذا لون أبيض شبه شفاف، عينان بالغتا الخضار مشقوقتان طوليًا كعيني القطط، شعر ذهبي يناهز الشمس في الضياء.

أما في الحالة الأرضية التي حوله المعلم إليها فكان من الصعب ألا تلاحظه فقد كان في هيئة رجل مليح الوجه، عريض المنكبين والفكين، عند النظرة الأولى تعتقد أن جسده المتناسق قد قُد من الحجر الصلد، ذا عينان باهرتان تظن للوهلة الأولى أنهما تضيئان، كانا أخضرين كسابق عهدهما، وما زاده غرابة أنه كان يقف بجوار الباب عاريًا تمامًا!

في الواقع لقد كان الثلاثة يقفون كيوم ولدتهم أمهاتهم إن كان العفاريت يولدون على هذه الهيئة!

أما طلمش والذي كان يقف بجوار ما بدا أنه خزانة ملابس فقد كان تحوله مبهرًا بحق، ينتمي طلمش في الأصل إلى قبيلة ذي المجادل المشهورة أن كل أفرادها في الحرس الملكي، كان عفريتا صلدًا قويًا يقترب من الأقدام السبعة والنصف طولًا والأربعة عرضًا، ذا لون أحمر شبه محترق جراء قضاء الكثير من الوقت في صحراء كنيابون العظيمة، عينان أصفران كقرص الشمس وكأن الصحراء قد منت عليه بهما، أما شعره فقد كان كستنائي اللون به بعض الاحمرار.

على الناحية الآدمية، فقد كان آية من آيات الجمال بالمقاييس الرجولية، كان فارع الطول بحق وإن كان أقل من دنهش قليلًا، كان جل جسده مزدانًا بالعضلات المنتفخة البارزة وكأنه صورة حية لتماثيل الآلهة الإغريقية، أما ملامحه فكانت شديدة الوسامة خاصة مع هاتين العينين اللتان احتفظتا بلونهما، وشعره كذلك كان باقيًا على سيرته الأولي دون أن يمسه تغيير.

نظر لهما أوار مطولًا ثم ابتسم قائلًا

-"إنني لم أر البشر من قبل إلا في الكتب التي قرأتها عنهم لكنكما تبدوان أكثر من رائعين، والآن انظرا إلي وأخبراني كيف أبدو".

نظرا له نظرة فاحصة ثم ابتسما بشدة قائلين

-"إنك تبدو بهيًا يا سيدي".

كان في وسط الغرفة مرآة كبيرة تقدم إليها أوار وهو يطالع جسده العاري في خيلاء، كان تحوله هو الأفضل فيهم، وكأنه قد احتفظ بحسنه كعفريت.

كان أوار آخر أبناء قبيلة طارش الملكية وآخر ذكر ملكي على قيد الحياة، كان طوله متوسطًا ما بين دنهش وطلمش يقارب الستة أقدام ونص القدم، ذا لون أبيض شاحب حتى أنك تستطيع النظر خلال يديه، أما ما كان يميزه حقا كانت عينيه شديدة الزرقة التي تشبه مياه المحيط الصافية فقد كانتا من النوع الذي يجتذب الأنظار إليهما فبمجرد أن تنظر إليه حتى تقع في سحره وكأنك تحت تأثير نوع من أنواع التنويم.

وقف أوار أمام المرآة وقد فغر فاهه من الدهشة، كان جسده وكأنه قد صُب في قالب شديد التناسق، منحوتة من منحوتات القدماء بارعة الحسن والجمال، كانت عضلاته بارزة شديدة الظهور والكمال، حتى أن دنهش يبدوا أمامه شخصيًا عاديًا...عاديًا جدًا!

أما ملامحه فقد كانت شديدة الملاحة، تلك الابتسامة الساحرة التي علت وجهه وهو يطالع انعكاسه في المرآة وعيناه شديدة الزرقة المقتربة من الأرجواني قليلًا بدت كمشكاة للروح، كان شعره متوسط الطول ذا لون أسود مما زاده بهاءً على بهاء مع بشرته البيضاء.

-"حسناً..سوف تحتاج الإناث في هذا العالم إلى معجزة حتي لا يعلقوا في شباكك" قالها طلمش ضاحكًا.

انفجر الثلاثة في الضحك بصوت عال حتي بدت نواجزهم قبل أن يقاطعهم صوت يشبه دق الطبول قادم من السوار الذي استقر فوق

معصم أوار، فوق معصمه استقر هذا الجهاز الغريب ، كان ضخمًا نسبيًا به شاشة والكثير من الأزرار، في هذه اللحظة كان هناك زر صغير يومض

نظر أوار إلى مرافقيه باديا الحيرة ثم قام بالضغط على هذا الزر، مرت بضع ثوان قبل أن تخفت إضاءة الغرفة وينبعث من مقدمة الجهاز شعاع صغير من النور، أخذ الشعاع يتبلور ويتموج وكأنه صلصال يُشكل شكلًا ما.

وفجأة أخذ ذلك الشعاع شكلًا معروفاً لهم، كان المعلم الأكبر يقف أمامهم في وسط الغرفة، كانت تلك صورة هولوجرامية للمعلم آصف، على الفور انحنى دنهش وطلمش أما أوار فقام بخفض رأسه في إجلال ووقار واضحين.

-" أبنائي يسعدني أنكم بخير لقد كنا قلقين عليكم، سيسعد الملك كثيرًا لمعرفته أنك بخير أيها الأمير".

قال أوار وهو يخفض رأسه أكثر"سيدي المعلم إننا على خير ما يرام أبلغ جلالة الملك سلامي".

-"حسناً والآن لنراجع خطتنا".

اعتدل دنهش وطلمش في انتباه بينما المعلم يسترسل

-"أيها الأمير لقد تم نقلكم إلى المكان الذي حدث به الشق في هذا العالم مدينة بشرية تقع في إحدى بلادهم تعرف بينهم إن لم تخنِ ذاكرتي باسم لندن.

-كما تم تجهيز هذا المكان خصيصًا لكم من قبل أحد خدامنا، سوف تجدون به الطعام والملابس الأرضية التي تناسبكم، كما تم تحصين المكان لإخفائه عن كل قبائل الجان الأخرى وباقي المخلوقات على حد سواء".

-"سيدي"

قاطعه الأمير متسائلا

-"لكن ما هذا الجهاز؟"

مشيراً إلى الجهاز المستقر فوق معصمه.

ابتسم المعلم مخاطبًا اياه

- " إنه إحدى اختراعاتي به يمكنك متابعة الصدع أو أي أحداث غريبة في عالم البشر، مبرمج خصيصا لينقلك آنيًا إلى البيت أو أي مكان آخر شرط أن تتخيل تفاصيل المكان الذي تريد الانتقال إليه في حال كنت مصابًا أو تحاول الهرب من شيء ما".

- "لقد فهمت شكرًا لك سيدي".

-"بني العزيز إنك بالغ القيمة لنا ويجب ألا يعرف أحد أنك هنا حفاظًا على حياتك".

أخذ المعلم ينظر إليهم نظرة متفحصة يحاول تبين وقع كلماته عليهم قبل أن يكمل

-"لذلك سوف تستخدمون أسماءً أخرى، أوار من الآن سوف تعرف باسم سديم، دنهش وأنت سوف تعرف باسم يولاند "نظر ناحية طلمش لبرهة وكأنه يفكر ثم أتبع" وأنت باسم مايكل يا طلمش..

-أبنائي يجب عليكم توخي الحذر والاختلاط بعالم البشر حتى لا يشك بكم أحد الجواسيس، قدراتكم باقية في صورتكم الإنسية كما كانت إلا

أنها لا تعمل على الدوام حتى لا يلتفت إليكم الجان كونكم قادرون علي رؤيتهم.

-أوار إني أثق بك لتصحيح الأمور

-جميعنا نفعل..

-ابقوا سالمين".

تضاءلت صورة المعلم واهتز معها شعاع الضوء قبل أن يعود إلى الجهاز وكأن المعلم كان خارجًا منه، فتح أوار الخزانة ليجد بها الملابس التي تكلم عنها المعلم، فور ارتدائهم ملابسهم نظر أوار إلى دنهش وطلمش وصاح

-"يولاند..مايكل هيا بنا نستكشف عالمنا الجديد!"

(٦)

استجلاء الضباب

اقترب سديم من مقبض باب الغرفة وما إن لامست أصابعه المقبض حتى أحس باهتزازة خفيفة في الباب بينما أضاء إطار الباب بنور خافت، فتح الباب ولفت نظر سديم بعض الرموز تلتمع بلون أحمر قاتم على حلق الباب.

كانت هذه الرموز إحدى الدفاعات التي تحدث عنها المعلم ليمنع دخول المتطفلين والمتسللين، ما إن خطوا خارج الغرفة حتى أغلق الباب من تلقاء نفسه وأبلجت النقوش بلون أسود قاتم.

وجدوا أنفسهم يقفون في ردهة طويلة تحتوي على ثلاثة أبواب وجدوا أعلي الباب الذي خرجوا منه اسم سديم مكتوب بما يشبه أحجار اللؤلؤ، وعلى الباب الثاني يولاند وعلى الثالث مايكل.

كانت كل الأبواب على اليسار وفي آخر الردهة على اليمين يوجد بابان أحدهما به دورة مياه والأخرى تبدو كأنها مطبخ أو حجرة لتناول الطعام، وفي المنتصف تمامًا كان يوجد سلم خشبي عريض يوجد على كل حافة من حوافه أسد عملاق عيناه ياقوتتان تشعان في مهابة.

اقترب منهم سديم وهو يتأمل النقوش الموضوعة على قاعدتها، نظر إلى صاحبيه وقال بلهجة فرِحة

- "رائع إنها هنا للرصد، لقد صمم المعلم هذا البيت بطريقة مميتة لأي أحد يدخله بلا إذن".

طفقوا ينزلون الدرجات الواحدة تلو الأخرى وهم يتأملون النقوش والطلاسم التي خُطت على كل درجة، لقد كانت كل درجة من درجات السلم الاثني عشر تحوي طلسمًا لحجب نوع معين من الجان بعينه.

-"حسنًا إن هذا المكان يكاد يجابه الحصن الأسود في التحصين"

قالها يو لاند ضاحكًا.

ما إن وصلوا إلى نهاية السلم حتى وجدوا أنفسهم في بهو شديد الاتساع انتشرت فيه الأرائك في كل اتجاه، وفي المنتصف تمامًا كان هناك مدفئة عظيمة يعلوها صورة للأسرة المالكة.

كان سديم يطالع هذه الصورة بشجن حتى أخرجه من تخيلاته يد مايكل وهي توضع على كتفه

- "سيدي الأمير أعتقد أنك سوف تحب هذا كثيرًا"

ثم أشار إلى ما كان خلف السلم الذي نزلوا منه.

خلف السلم كان هناك مكتبة عظيمة تزين الجدار بالكامل ما إن نظر إليها سديم حتى تهللت أساريره وقال

-"لقد أهداني المعلم شيئا ليسليني في هذا العالم".

وضع يديه على كتفي صديقيه وربت عليهما قائلًا

- "حان وقت اكتشاف المنطقة".

ما إن خرجوا من الباب الأمامي للبيت والذي كان على شاكلة باقي الأبواب الموجودة حتى اختفى البيت كأنه لم يكن، تاركًا مكانه الفراغ حيث يفترض به أن يكون.

خرج سديم وصديقاه إلى العراء فقابلهم هواء لندن البارد

-"الجو هنا كئيب"

قالها يولاند.

لم يعقب سديم وإن اكتفي بهز رأسه في علامة الموافقة.

أخذ يدور بعينيه في المنازل المتراصة بجوار بعضهم البعض يغلب عليهم جميعًا الطابع النورماندي ذا اللون الأبيض إلا من بعض البيوت المتناثرة هنا وهناك ذات الطابع الروماني المشهور.

في هذه الساعة المتأخرة كانت المدينة في سبات عميق لم يقطع هدوئها إلا صوت أنفاسهم ومواء بعض القطط من حين إلى آخر، أخذوا يتجولون في شوارع المنطقة مستكشفين

على إحدى النواصي استقرت لافتة فضية صغيرة معلقة على عمود نحاسي اللون كُتب عليها

Gordon road camber wall

تطلع إليها سديم للحظات قبل أن يعدل عنها قائلًا لمرافقيه

- "بتنا الآن نعلم في أي الأماكن نحن".

أثناء التجوال توقف سديم أمام متجر ذو واجهة زجاجية وحجر جيري أحمر اللون كُتب عليها

Lady well pharmacy

استكملوا الطريق وهم يمسحون الشوارع والطرقات بأعينهم مستكشفين كل ما يوجد أمامهم.

في نهاية الطريق وقف الثلاثة أمام مبني حديث نسبيًا في تصميمه وإن كان يغلب عليه الطابع القوطي، وجهته بالكامل مغطاة بالزجاج وفي أعلى نقطة منها عُلقت لافتة كتب عليها

Nun head library

ارتسمت على شفتي سديم ابتسامة وهو يقول

- "يبدو أنني قد وجدت التخفي المناسب".

قالها وهو يرمق الورقة المعلقة على الباب والتي تعلن عن حاجة المكان لموظفين جدد، في طريق العودة كان سديم حريصًا على أن يطالع كل تفاصيل المكان.

أراد ألا يضيع ذلك الشارع من ذاكرته، وبعد بضع دقائق وصلوا حيث يفترض بالبيت أن يكون، أطرق سديم رأسه للسماء مفكرًا.

ثم وجهها ناحية الفراغ وقال

-"سيكتايوم انتون نام"

أخذت درجات السلم تتشكل في الفراغ حتى بدت معالمه ومعالم الباب واضحة للعيان، بينما هم صاعدين قال يولاند من خلفه

-" تعويذة الإخفاء هذه مثيرة للإعجاب!"

ما إن دخلوا من الباب حتى اختفي كل شيء.

-" أظن أنه وقت الراحة"

غمغم بها مايكل ووافقه يولاند الذي بدا الإرهاق على ملامحه.

-"اذهبا أنتما أظن أني في حاجة لبعض القراءة".

توجه الاثنان إلى السلم بينما توجه سديم إلى المكتبة القابعة خلفه.

أخذ يطالع العناوين المتراصة في نظام بشيء من الاهتمام قبل أن يثبت عينيه على مجلد أسود ضخم كُتب عليه بلاتينية خالصة

(طلاسم الأنوار للرصد والإحضار)

تناول سديم الكتاب وسار به حتى الطاولة ثم وضعه عليها وفتحه على صفحة معينة زين جبهتها عنوان الطلسم المرسوم، كشف سديم عن يديه حتى المرفقين وتناول من أحد الأدراج حبرًا ذا لون بنفسجي وريشه للكتابة، انتقي من الكتاب بعض الطلاسم بعينها ثم أخذ يخطها على يديه.

عشرات الرموز والأشكال المتداخلة، أثناء ذلك كان يتمتم بكلمات غريبة وكأنها لحن أو ترنيمة ما، فور أن انتهي تألقت تلك الرموز بلون ذهبي قبل أن تختفي تمامًا!

أعاد سديم الكتاب إلى مكانه ثم سار حتى وصل إلى الكرسي الذي يواجه المدفأة المشتعلة ثم جلس عليه وتنهد في راحة، ظل يراقب جزوات اللهب وهي تتأجج وتخبو حتى سقط في نوم عميق.

في الصباح استيقظ كل من يولاند ومايكل، هبطا للأسفل فتفاجئا بسديم وهو يجهز الطاولة ليتناولوا عليها طعام الإفطار.

-"سيدي الأمير أوار ماذا تفعل؟"

قالها مايكل وهو يهرول إليه ليساعده في وضع الأطباق.

نظر إليه سديم ثم ابتسم

-"أنا لست الأمير هنا يا طلمش كما أن اسمي هو سديم كما أن اسمك مايكل".

-"كما تري سيدي الأم.."

تلعثم قبل أن يكمل

-"كما تري يا سديم".

انتهي الثلاثة من تناول الطعام ثم هموا بالخروج.

وكما حدث في المرة الأولي ما إن خرجوا من البيت حتى اختفي.

كما المساء كان نهار لندن كئيبًا، شيء ما بهذه المدينة غائم دائمًا ربما بسبب عوادم السيارات أو ربما الضباب آت من السماء لا يمكنك أن تتأكد تمامًا لكن شيئًا ضبابيًا كان يبهت فوق كل لون وكل تعبير وجه!

سار الثلاثة معًا يتقدمهم سديم والنشاط بادٍ عليه ما إن اقتربوا من باب المكتبة حتى قال سديم بسرور

-"رائع إنها مفتوحة".

داخل قاعة المكتبة الفسيحة كانت تقف سيدة عجوزة طاعنة في العمر في أواخر السبعين أو ربما في منتصف الثمانين تقدم منها سديم ومن خلفه يولاند ومايكل

- "سيدتي نحن هنا من أجل الوظيفة".

رفعت وجهها الذي غزته التجاعيد وحفر فيه الزمن الأخاديد ناحيتهم في دهشة لتقابلها ابتسامة سديم الدافئة.

-"حقا؟ لقد اعتقدت أن أحدا لن يهتم، إن شباب هذه الأيام لا يقدرون الكتب"

قالتها بحزن.

زادت ابتسامة سديم وهو يطالع كل هذه الأرفف والطاولات التي امتدت أمامهم ممتلئة بالكتب فكر بينه وبين نفسه إنها الجنة!!

-"سيدتي أعتقد أني ممن يتذوقون الكتب".

نظرت إليه وابتسمت بدورها قائلة

- "يبدو أنني قد عثرت على أمين مناسب لمكتبتي "

بادلها سديم الابتسامة وملامح الفرحة والمرح متجلية على وجهه.

-"شرف لي سيدتي".

ثم أردفت

- "أما أنتما يا صغيريّ"

ونظرت إلى يولاند ومايكل

-" ستكونان عمال النظافة"

وقد كان.

****

في نفس اللحظة التي وصل فيها أوار إلى عالمنا

في أقصى شمال المدينة وعلى حافة الغابة أخذت الأرض بالاهتزاز في عنف وكأن هناك بركان يوشك على الثوران.

زادت سرعة اهتزاز الأرض حتى تساقطت الأشجار والأرض تتشقق، مئات الشقوق طفقت تتكون بلا هوادة وفجأة توقفت الأرض عن الاهتزاز كما بدأت، صاحب ذلك خروج دخان أسود كثيف من تلك الشقوق أخذ يتلوى ويتشكل حتى بدا أنه آلاف الأيدي السوداء التي أخذت في الاستطالة حتى كونت ما يبدو أنه حائط ثم أحاط الدخان بكل شيء.

وعندما انقشع أخيرًا وهدأت الأجواء لم يلحظ أحد ذلك الكوخ الذي أتى من العدم ولا الرجل العجوز الذي وقف في نافذته الصغيرة وعيناه تلتمع شراً..!!

****

(٧)

ستكونين

بعد قرابة الأسبوع كان سديم وصديقاه مايكل ويولاند قد اعتادوا العمل في مكتبة البلدة والتي تملكها السيدة هادسون عجوز طيبة، المكتبة هي كل ما تبقى لها من زوجها الراحل.

كان العمل يبدأ في العاشرة صباحًا وينتهي في نفس الساعة ليلًا لم يكن العمل مرهقًا فرواد المكتبة لم يكونوا سوى أربعة أشخاص يأتون على الدوام وبعض الناس يترددون عليها من الحين للآخر أما الأربعة الدائمون فقد كانت المكتبة هي بيتهم الثاني.

ذلك الرجل القابع في الزاوية هو الدكتور واتسون، أسود البشرة ممتلئ الجثة، طبيب عيون، يذهب إلى عيادته الواقعة في الحي المجاور حتى الرابعة ثم يأتي كل يوم للمكتبة ليلتهم الموسوعات الطبية بعينيه التهامًا.

أما ذلك الشاب الطويل، طيب المحيا، مليح القسمات، الذي أسدل شعره على عينيه فهو هاري الشاعر يأتي عله يستكشف كلمات جديدة لتساعده في أشعاره أو لينهل من الأعمال الشكسبيرية الإلهام.

على الجانب الآخر بمحاذاته تمامًا تجلس فتاة شقراء تتابع هاري أكثر من متابعتها لكتاب مركبات الحب القابع بين يديها.

إنها فرجينيا، تترك مدرستها يوميًا وتأتي لتتابع هاري لعله يلحظها بالخطأ في يوم ما.

وأخيرًا تجلس هناك وحيدة تلك الفتاة التي تمسك بين يديها كتاب أصل الأساطير، عند النظرة الأولي تعتقد أن أثينا إلهة الحكمة قد بعثت من جديد قبل أن ترى ابتسامتها فتقسم أن أفروديت إلهة الحب والجمال قد حلت في هذا الجسد الفانِ!

كان عودها غربيًا منتظمًا، ملامح وجهها مريحة للناظرين وإن كان من المستحيل أن تتبين جنسيتها من تلك الملامح، كان وجهها يحمل ملامح لكل الجنسيات تقريبًا الشرقي منها والغربي، لو رآها الإغريق قديما لأدخلوها الأوليمب على رأس آلهتهم المزعومة.

وجنتان كاملتا الاستدارة، ذقنها يلتف بنعومة ليكمل استدارة وجه شامي عريق، عيناها كأنهما فيروزتان مشعتان تسبر أغوارك وتشدك إلى الهاوية بلا هوادة هاويتها!!

عقدت شعرها ذا اللون البني الداكن خلفها وإن فرت منه خصلتين كانتا تعكسان شقرة خفيفة وما زادها جمالًا هو تلك العوينات المستديرة التي ارتدتها وبدت منها عيناها وكأن موج البحر يوشك على الخروج من هذا الزجاج.

كانت هذه هي راوند الطبيبة المسؤولة في lady wall pharmacy تنهي عملها كل يوم في الثالثة لتأتي للمكتبة حتى الثامنة ثم تغادر.

تنهد سديم قبل أن يشيح بناظريه عنها

- "تبدو حزينة اليوم على غير العادة!"

نظرت راوند ناحية سديم الذي كان يطالع كتاب أطلس العالم باهتمام وهمست

-"يبدو أنيقًا اليوم"

قبل أن تتجه ناحيته وتناوله الكتاب الذي بين يديها.

ابتسم لها سديم متأملًا ملامح وجهها فبادلته الابتسامة وقد اصطبغت وجنتاها بحمرة الخجل ثم توجهت ناحية الباب.

في الطريق أطلقت لعقلها العنان وأخذت تتذكر عائلتها، تلك العائلة المُحبة التي انتهي بهم الأمر على الطريق بسبب حادث مع سائق مخمور.

كل ما تتذكره عن هذه الليلة هو السيارة وهي تتحطم، صراخ أختها الصغيرة، نظرات الذعر التي ارتسمت على وجه أمها، أباها وهو يحاول الحفاظ على مسار السيارة ثم ساد الظلام كل شيء!!

تتذكر أنها استيقظت في اليوم التالي لتجد نفسها في المشفى أخبرها الطبيب أن عليها أن تتماسك وأن تكمل حياتها بينما قابلته هي بالصمت، بعد ثلاثة أيام امتنعت فيهم عن الأكل وكافة الأنشطة الحيوية تم تشخيص حالتها بصدمة عصبية شديدة وتم إيداعها لمصحة الدكتورة ماديسون للطب النفسي، مكثت هناك ثلاثة أعوام وخرجت منذ ما يقارب الشهر، دلها أحد الأشخاص على هذا المنزل الذي تقيم فيه وقد كان مناسبا جدًا لزهد ثمنه رغم ميل صاحبه للون الأسود.

تنهدت بحزن وهي تصعد الدرجات "كانت أمي ستحب هذا المنزل".

أدارت المفتاح في الباب ودفعته.

دخلت إلى المنزل الذي لم يكن كبيرًا، كان يتكون من أربع حجرات، غرفة المعيشة وغرفتها الخاصة وفي نهاية الرواق الطويل تقبع دورة المياه يقابلها مطبخ صغير كانت تعد به بعض الوجبات على استحياء إن أسعفها الوقت لذلك.

كان المنزل في المجمل عاديًا جدًا إلا من ذلك اللون الأسود الذي يتخلل كل شيء!

دخلت بخطوات ملولة علقت معطفها بجوار الباب وخلعت نعليها، إنها مرهقة جدًا فكرت وهي تتناول بعض جرعات من الماء من زجاجة وضعت على الطاولة بجانب عُلب الطعام الفارغة الملقاه بإهمال واضح وهمت بالدخول إلى غرفتها.

كانت راوند من محبي الدمى في غرفتها ذات الأثاث المتواضع احتلت منضدة كبيرة الحائط بجوار الباب ورُصت عليها كل أنواع الدمى حتى أن إحداهن كانت في حجمها تقريبًا.

بدلت ثيابها على عجل وأغلقت النور ثم تدثرت بالغطاء، نظرت إلى دميتها وصاحت

- "عمت مساء كاتي"

وراحت في نوم عميق.

عالم الأحلام

ذلك العالم الذي تهرب إليه من مشقات الحياة علك تجد فيه الهدوء والسلوان قد يكون هذا العالم جنة باهرة الجمال وقد يكون هو الجحيم بعينه وبالنسبة لراوند فقد بدا أنها في الجحيم الآن.

كان جسدها يهتز بعنف وقطرات العرق البارد تتكون على جبهتها.

ظلام.. ظلام دامس غلفها وأسدل ستاره عليها.

كان ذلك جل ما تراه في هذه اللحظة وفجأة أضاء المكان ضوء مجهول المصدر.

كانت راوند تفتح عينها التي أحرقها الضوء وفي نفس اللحظة انفجر مصباح غرفتها!

إلا أن لحظة واحدة قبل انفجار المصباح كانت أكثر من كافية لتنتبه لذلك الكيان القابع بجوارها على السرير، ازدرت ريقها بصعوبة بالغة أما عقلها فقد شُل تمامًا وتوقف عن استقبال المؤثرات وتحليل المشهد.

كانت مستعدة للصراخ قبل أن ترى ذلك الكيان يحرك رأسه تجاهها واضعًا يده البلاستيكية ببطء على فمه علامة السكوت.

هزت رأسها والدموع تتساقط من عينيها بغزارة ثم وضعت يدها على فمها كي لا تصرخ من هول ما ترى، تجاهد حتى تحتفظ بوعيها خوفًا من مصيرها المجهول، طفقت كل الموجودات تتشوش أمامها وتداخلت أحاسيسها حيث فقط الرعب هو ما كان جليًا، الرعب فقط هو سيد الموقف!

أمام عينيها كانت دميتها الكبيرة تجلس على طرف الفراش.

على الضوء القادم من حجرة المعيشة لمحت تلك الابتسامة الشرسة التي زينت وجه الدمية وحلت محل ابتساماتها المطمئنة اللطيفة.

مئات الأفكار ترددت في رأسها وعشرات الأسئلة تراقصت أمامها إلا أن شعورًا واحدًا وقف شامخًا لا يُضاهي الرعب.

حينما يبدأ الرعب الحقيقي -فقط الرعب الحقيقي- حينها يصبح كل شخص بمفرده.

حاولت أن تتحدث لكن صوتها أبى أن يغادر حنجرتها، عدلت الدمية من وضعها وحنت رأسها في حركة ميكانيكية رتيبة لتتابع سيل الدموع الذي فاض من عيني راوند.

مدت الدمية يدها -التي بدأت تطُول بشكل غريب ببطء شديد- وأخذت تمسح دموعها، أحست راوند كما لو أن قالب ثلج يمر الآن على وجهها، انتفض جسدها وأخذت الدمية تمسح دموع راوند في تسارع غير منتظم وهي تهمس بكلام غير مفهوم، تغير جو الغرفة ليصبح قارس البرودة، تابعت أنفاسها وهي تخرج من فمها والدمية تتابعها بعينين كريستاليتين لا حياة بهما.

كادت تتبول على نفسها من كل تلك الأهوال وفجأة استدارت الدمية ونزلت من على السرير وأشارت بيدها الصغيرة إلى قطع الزجاج المحطم على الأرض وفي برهة ارتفع في الهواء!

ظلت قطع الزجاج ترتفع متوجهة إلى المصباح قبل أن تتوقف فجأة وبإشارة من يدي الدمية هوى الزجاج ساقطًا باتجاه راوند بسرعة كبيرة لدرجة أنها لم تلتقط أنفاسها..أنفاسها الأخيره كما تبدى لها!

وقبل ملليمترات من ملامسة أول قطعة زجاج لوجه راوند قامت الدمية بإغلاق يدها ليتوقف الزجاج ويعود مكانه إلى المصباح مرة أخري مطلقة تلك الضحكة المرعبة التي بمجرد سماعها قد يخر أقوى الرجال فزعًا!

كاد قلبها يعلن استسلامه، فما تراه الآن أكبر من قدرة قلبها الرقيق على التحمل.

أخذت قطع الزجاج تلتصق مع بعضها كسابق عهدها وقبل أن تكتمل القطع نظرت إليها الدمية نظرة شيطانية آتية من قلب الجحيم وهمست

-"إنه قادم!"

قبل أن يُنير المصباح الغرفة فجأة!

أغلقت راوند عينيها من النور وعندما قامت بفتحهما كان كل شيء قد عاد إلى سيرته الأولي وماهي إلا لحظة حتى أغشي عليها!

******

(٨)

نبراس

استيقظت فزعة والصداع ينهش خلايا رأسها والدموع تحرق عينيها.

حاولت أن تتذكر ما حدث مُمنية نفسها أنه حلم سيئ أو أنها تتخيل.

ارتدت ملابسها حتى لا تتأخر على عملها وقبل خروجها من الغرفة وعند المنضدة التي تستقر فوقها الدمى تحديدًا وجدت دميتها الكبيرة تنظر ناحية الباب وقد ارتسمت على ملامحها ضحكة مصطنعة قاسية.

من المفترض أن يكون رأسها باتجاه السرير؟!

هالها ما رأت فأسرعت تغادر بيتها ناسية أو بالأحرى متناسية ما حدث ذهبت إلى عملها ومع الضغوطات وكثرة المرضى الذين زاروهم اليوم شُغل عقلها تمامًا عما رأت في البيت أنهت دوامها ثم حيت السيد ألبرت وانصرفت ذاهبة إلى المكتبة كما اقتضت العادة وقفت أمام الباب الزجاجي للمكتبة تصفف شعرها قليلًا، تهندم ملابسها وتعيد ضبط عويناتها دخلت إلى المكتبة غير منتبهة لانعكاسها الذي ظل واقفًا مكانه مبتسمًا ابتسامة مرعبة!!

نظرت إلى حيث يجلس سديم كان يطالع كتابًا ضخمًا لم تتبين عنوانه من هنا وفور أن انتبه لها وبادلها النظرات حتى تدرجت وجنتاها بحمرة الخجل أشاحت بنظرها عنه بسرعة.

جلست على طاولتها المعتادة تطالع كتابها في نهم وبين كل دقيقة وأخري ترفع نظرها عن الكتاب لتطالع سديم الذي كان ينظر إليها في المقابل لعمرها لم يكن للشباب أي دور في حياتها لم تكن تهتم بهم أو تستشعر وجودهم من الأساس.

أما مع ذلك الغريب فإن الأمر مختلف وكأنها تتحرك ناحيته قسرًا كأنه هو الشمس وهي مجرد كوكب سيار تشده جاذبية الشمس الكاسحة نحوها بلا سبيل للفرار، لم تكن متيقنة إن كانت تأتي للمكتبة حقًا لتنهل من الكتب الموجودة بها أم لتنهل من سديم؟

"تأخر الوقت" تمتمت بها وهي تنظر لساعتها قبل أن تقوم من مقامها ملقية نظرة أخيرة على سديم الذي ابتسم لها كما هي عادته كلما نظر إليها، عادت لبيتها منهكة تقدم قدمًا وتُؤخِر أخرى.

كان البيت هادئًا وبلا أي شيء مريب كما تركته، بدلت ثيابها وتحممت سريعًا ثم خرجت من الحمام وجلست أمام المرآة في غرفتها تصفف شعرها فور أن انتهت ذهبت إلى المطبخ تعد لنفسها بعض الطعام حتى تتناوله.

كانت على وشك الدخول إلى غرفتها حتى جاءها صوت أمها

-"هلا ناولتني كوبا من العصير يا راوند"

تجمدت مكانها، شلتها المفاجأة وحسبت نفسها تخيلت الصوت، إنه الإرهاق ليس أكثر حدثت نفسها.

وقبل أن تخطو خطوة واحدة أتاها الصوت مرة أخرى بما لا يدعو مجالًا للشك إنه صوت أمها.. أمها المتوفاة!!

هذه المرة لم تستطع أن تقاوم، سمحت لبولها أن يتسلل ليغرق قدمها والأرض التي تقف عليها زادت برودة الجو فجأة حتى ارتجفت لمحت بطرف عينها ضوء غرفة المعيشة التي كانت مطفأة منذ لحظات!

استدارت وتوجهت إليها وجدتها فارغة إلا من وشاح أمها الذي وجدته موضوعًا على الأريكة أصابها الشجن واغرورقت عيناها بالدموع حزنًا على عائلتها ثم شعرت بمن يضع يده علي كتفها فانتفض جسدها بعنف حتى كادت أن تفترش الأرض صارخة بأعلى صوتها.

استدارت لتجد المكان خاليًا تمامًا.

هذه المرة لم تتعب بالها بالتريث وتحليل الموقف أطلقت لساقيها العنان وهرولت إلى غرفتها، أغلقت الباب ورائها، احتضنت وسادتها وظلت تبكي، طغى عليها شعور الخجل لأنها تبولت على نفسها، ذلك الخجل أزاح الخوف جانبًا متسيدًا الموقف حينها.

عزمت على دخول الحمام مجددًا حتمًا عليها أن تبدل ثيابها.

فتحت باب الغرفة في ترقب ونظرت في كل مكان ثم جرت قاصدة الحمام ما إن انتهت من الاستحمام وغيرت ثيابها وقبل أن تفتح الباب أتاها صوت أبيها صائحًا

- "عزيزتي ألن تتناولي معنا الطعام؟"

حاولت الحفاظ على ما بقي من عقلها في هذه اللحظة ثم أغمضت عينيها وهي تتجاهل هذا الصوت خرجت إلى غرفة المعيشة لتجد الهول ينتظرها هناك

كانت أسرتها كلها تنتظرها في غرفة المعيشة.. أسرتها الميتة؟!

إنه لشعور يبعث على السعادة أن تجد أسرتك كلها حولك لكن في هذه اللحظة بالذات كانت كلمة سعادة هي أبعد كلمة يمكن أن تُطلق على حالة راوند الأقرب للهذيان ها هي ذي أمها بملامحها البريئة تنظر لها وهي تبتسم في حنان بالغ ووالدها ينتظرها كالعادة حتى تجلس بجواره وشقيقتها الصغرى منهمكة في تأمل أثاث البيت.

تراجعت للخلف ألصقت ظهرها بالحائط اهتز جسدها بعنف قبل أن تسقط أرضًا سابحة في الظلام سامحة له بإسدال الستار على هذا المشهد الأليم.

فتحت عينيها ببطء شديد خائفة مما سترى متوقعة أن تجد آلاف الشياطين يتراقصون أمام عينها كانت نائمة على فراشها ألم تكن علي الارض؟

كيف انتقلت إلى هنا؟!

كان جسدها يؤلمها جراء السقوط بينما هناك صداع ينهش خلايا رأسها الرقيقة قامت من مرقدها حاولت أن تسترق النظر إلى الخارج فوجدت ما كانت تخشاه !

كانوا جميعًا هناك يقفون منتبهين يتأملونها في صمت وفي عيونهم التمعت وحشية ممزوجة بهمجية تشبه إلى حد كبير النظرة التي تعتلي وجه الذئب قبل أن يغرس أنيابه في جسد ضحيته غير آبه بصرخاتها.

حاولت أن تعود من حيث أتت إلى فراشها حين قطع عليها تفكيرها صوت أبيها وقد امتلأ بالشر والجنون على حد سواء وهو يصيح

-"تعالي إلى هنا!"

استدارت وهي تنظر إلى الأرض لا تريد أن تراهم على هذه الحالة الحيوانية التي صاروا عليها أو لنكن أكثر دقة كانوا يشبهون الموتى الأحياء في أفلام الخيال العلمي غير أنهم هنا يعقلون أفعالهم!

حاولت أن تُكذب عينيها لربما كان كل ما تراه خيالًا من عقلها المريض لقد امتنعت عن دوائها منذ خرجت من المصحة لربما كانت تلك أعراض انسحاب الدواء من جسدها؟

جاءها صوت أمها قاتلًا لهذه الأفكار في مهدها

-"أوه إننا أكثر من حقيقيين يا صغيرتي"

وقبل أن تنطق سمعت أختها الصغرى تزأر بحيوانية واضحة كأنها حيوان جائع لم يقرب الطعام منذ دهر بعدها حدث كل شيء سريعًا.

استحالوا جميعًا لحيوانات ضارية كائنات بلا عقل تمامًا كلما اقترب أحدهم من الآخر زأر بعنف وهو يتحاشاه وإن اشتركوا جميعًا في أن أنظارهم قد تعلقت براوند التي وضعت يدها على فمها وأخذت تبكي في صمت محاولة تجنب سكتة قلبية من هول ما ترى وإن كانت مُرحبة بها في موقفها الذي لا تحسد عليه هذا.

تشجعت أختها ونظرت إليها في تحفز ناوية أن تهاجمها كانت أختها تثب على أربع كالماشية وقبل أن تصل إليها زأرت بألم بينما والدها قد غرس

أنيابه الذئبية في فخذها جارًا إياها إلى منتصف غرفة المعيشة حاولت أختها أن تقاوم.. أن تتحرك

إلا أن والدها قد أطبق فكه على فخذها بعنف كأنه فك تمساح مفترس.

اقتربت الأم التي كانت تقف في تحفز هي الأخرى وكأن مرأى الدماء قد أثارها لتغرس سكينًا كان في يدها في مقدمة رأس الفتاة الصغيرة "عليك دائما تناول الجزء الأهم المخ!" تمتمت بها أمها ولعابها يسيل منها بوحشية.

في النهاية وجهت نظراتها الكريهة ناحية راوند وهي تلوك المخ!!

تحولت نظرات أختها الصغيرة التي كانت حيوانية منذ دقائق معدودة إلى أعتى درجات الألم والمعاناة نظرت إلى أختها الكبرى وبمزيج من الألم والأسي ثم صاحت "ساعديني".

اغرورقت عيناها بالدموع حاولت أن تقترب لكن بلا جدوى فقدماها تأبى أن تطيعها حتى كلماتها خانتها عندما حاولت الصراخ.

"توق.."

تنبهوا لها حتى قبل أن تكمل الكلمة كان الأب أول من أدار وجهه ناحيتها وقد انطبعت على ملامحه ضحكة شيطانية.

-"اللحم الطازج دائما هو الأفضل..!!"

صاح بها وهو يترك جسد ابنته الصغرى مسجية في بركة من دمائها متحركًا تجاه راوند بينما أمها تزدرد قطع من عقلها الصغير!

حاولت راوند أن تعود إلى غرفتها أن تغلق بابها وتحتمي به لكن الأب لم يمهلها كثيرًا.

قبل أن تتحرك قيد أُنملة كان قد وصل إليها منشبًا أنيابه وأظفاره في قدمها!!

سالت الدماء منها مُغرقة الأرض من تحتها وفستان نومها، سقطت على الارض والألم يعصف بها محاولة العثور علي شيء تزود به عن نفسها.

هل هذه هي النهاية؟ عندما يتمكن الوحش من البطل؟

وفجأة تركها أبوها ونظر خلفه حيث وقف ذلك الكيان الأسود مجهول الملامح الذي أتى من العدم تقدم الأب والأم منه وجثوا جميعًا تحت قدميه متمسحين بها كما تفعل القطط مع مربيها!!

لم يحتمل عقلها كل هذا الألم والأحداث المرعبة معلنًا فشله تاركًا زمام الأمور للظلام ليغشى عينيها ذاهبًا بها في سبات عميق!

****

(٩)

خُطايا

استيقظت لتجد نفسها نائمة على الأرض التي لوثتها دمائها.. دمائها؟ أين ذهبت الدماء؟!

عاد المكان كسابق عهده متجاهلًا تلك المعركة التي حدثت به ليلة أمس..!

لولا ذلك الألم الحارق في قدمها والذي خلفته العضة التي تلقتها بالأمس والتي اختفت بدورها لحملت الأمر على أنه محض تهيؤات استندت على الأرض، قامت وهي تشعر بكل خلايا جسدها تئن من الألم ارتدت ملابسها وكأن شياطين الجحيم أجمع في أثرها، كانت مثلًا يحتذى به في البؤس والكآبة ملابسها غير مهندمة كل قطعة لا تمت للأخرى بصلة، عيناها منتفخة مغرورقة بالدموع ، بدت الهالات السوداء تحت عينيها وكأنها لم تنم مُنذ دهر أو قضت ليلتها في تعاطي المخدرات حاولت أن تتناول أي طعام لكن كادت تتقيأ من الفكرة ذاتها فعزفت عنها.

لا تريد أن تتأخر على العمل يكفيها ما يحدث لها من مشاكل

في العمل كانت شاردة منعزلة عن كل ما يحيط بها لم تستطع أن تركز في أي شيء لأكثر من ثانيتين.

مرارًا أتت بدواء خاطئ!!

كادت إحدى السيدات البدينات أن تصفعها لولا تدخل السيد ألبرت الذي صرفها .

-"راوند"

صاح بها السيد ألبرت وهو يقترب منها لم تنتبه له وكأن كل حواسها قد توقفت عن العمل منذ ما رأت.

اقترب منها واضعًا يده على كتفها في حنان أبوي فانتفضت بفزع متراجعة إلى الوراء وكأن صعقة كهربائية قد أصابتها فكادت أن تسقط لولا أن أمسكها السيد ألبرت وقال بنبرة قلقة

- "هل حدث خطب ما يا صغيرتي؟"

نظرت له والجنون يلتمع في عينيها هزت رأسها في حزن يمينًا ويسارًا أي لا

-"هل أنت متأكدة؟"

حدثها وهو يطالعها من خلف عويناته الكبيرة.

-"أ أ أ-أنا ب ب-بخير"

قالتها وكأنها طفلة قد تعلمت الكلام لتوها، ربت على كتفها بأسى ثم أردف

-"لم لا تأخذين بقية اليوم راحة؟ يبدو أنك متعبة"

هزت رأسها بفزع وقلة حيلة هي لا تريد العودة إلى المنزل على الأقل لا تراودها أحلام اليقظة المجنونة تلك أو الهلاوس أيًا كانت خارج المنزل.

-"لا لا أريد العودة أنا أنا بخير".

-"صغيرتي العزيزة أنتِ لستِ على ما يرام اذهبي واستغلي اليوم في تصفية ذهنك".

-"لكن؟ لكن؟"

-"أخشي أنى مصر" قالها ألبرت منهيًا الحوار بنبرة من يملك اليد العليا ها هنا.

خرجت تلملم شتات أمرها وتتلفت خلفها كل ثانية وكأنها مُراقبة، عزمت أمرها "سأذهب إلى المكتبة" تمتمت بها وسط دموعها المنهمرة، بعد الكثير من المعاناة وصلت إلى المكتبة مرت أمامها بضع مرات بدون أن تلحظها قبل أن تتمكن أخيرًا من بلوغها، لم يختلف الوضع بالداخل عن الخارج كثيرًا فقد كانت شاردة لا تستطيع التركيز فيما تقرأ.

لاحظ سديم شرودها وهيئتها المزرية على غير العادة ناهيك عن نوبات الفزع تلك التي تصيبها كلما مر أحدهم بجوارها اقترب منها حتى صار بجوارها تقريبًا تنحنح وقال

- "أيتها الطبيبة راوند؟"

لم تجب

-"أيتها الطبيبة هل أنت بخير؟"

-"راوند؟"

كاد أن يضع يده على كتفها إلا أنها رفعت رأسها إليه مباشرة بعينين أهلكهما الدمع

- "هل.. هل يمكن أن يعود الموتى؟"

قطب جبينه وهو يجيبها

- "لا لا أفهم ماذا تعنين".

تنهدت بحزن وأشاحت بوجهها عنه دافنة وجهها في كفيها سامحة لدموعها أن تتساقط بغزارة.

أحس سديم بانخلاجة في صدره فلم يتحمل مرآها وهي تبكي هو لا يعلم من الأساس لماذا هذا الانجذاب نحوها؟

إلا أن رؤيتها هكذا جعل القشعريرة تسري في جسده اقترب منها ووضع يده على كتفها حاول تهدئتها فانتفضت لما لامست يده كتفها طمأنها بنظرة من عينيه وبإحساس بالمسؤولية تجاهها.

لولا غرابة موقفه لكان ضمها إلى صدره حتى يبعد عنها كل ما يؤذيها، نظرت إليه بنظرات تُكذب ما قيل بعدها من كلمات

- "أنا بخير.. يجب يجب أن أذهب"

وهمت بالرحيل!!

كاد قلب سديم أن ينخلع من مكانه حزنًا عليها، كانت المكتبة في هذا الوقت خالية تقريبًا إلا منه ومن مايكل ويولاند اللذين كانا منهمكان في التنظيف.

راقبها سديم وهي ترحل بخطوات مرتعشة وفجأة لمعت فكرة في رأسه ركز ناظريه عليها فبدأ يتشكل حولها بعض الأشكال الضبابية حتى ظهرت صورة واضحة أخيرًا تشكل على منكبيها قرد صغير كان يجلس القرفصاء على منكبيها ويحرك رأسه في كل الاتجاهات بعنف ومن عنقه امتد خيط من نور حتي عنق راوند.

مد سديم يديه أمامه فالتمعت بها عشرات الرسومات متألقة بهالة ذهبية خافتة تعلقت أنظاره برسم معين عبارة عن مربع يحتوي بداخله مثلث ظل ينظر إليه ثم تمتم الرصد!

قبل أن تمر راوند من باب المكتبة تشكل في الفراغ مثلث ذهبي عملاق بدخل مربع عملاق هو الآخر، مرت منه بسلام بينما سقط القرد الذي كان جالسًا على منكبيها.

ظل يضرب المثلث بيديه لا يفهم ما الذي حدث ثم تنبه لسديم القادم من خلفه فبادله النظرات بذعر، تنبه كل من يولاند ومايكل لذلك الكائن القابع على الأرض وعلى الفور توجهوا حيث يقف.

ظل يرمق الثلاثة في تحفز ودهشة قبل أن يقرر أخيرًا الكلام

-"كيف..كيف يمكن لبشري قذر أن يراني؟"

-"إننا لسنا بشرًا أيها القرين الأحمق إننا آخر شيء قد ترغب في إزعاجه الآن"

ختم سديم جملته وقد تحولت عيناه إلى لون أبيض لا تشوبه شائبة بينما ألصق القرد ظهره في المثلث ونظر ناحية سديم بهلع

-"عفاريت لكن كيف؟"

-"اصمت!"

صاح بها سديم وقد ارتسمت معالم الجدية على وجهه وهو يقول

-"بسم الملوك العلوين وخدامهم

-بسم الملوك السفليين وأنوارهم

أقسمت عليك أيها الجني بحق الملك أبو ديباج ملك القرناء وبحق العهد الذي أُخذ عليكم اسمعني وأطعني وإلا حل عليك العذاب المقيم".

تشكلت قيود سوداء على رقبة القرد وعلى كلتا يديه امتدت السلاسل من تلك القيود لتستقر في يدي سديم الذي تحفز ونظر للقرد مباشرة وقال

-"والآن أخبرني بكل شيء من البداية..!"

تحولت عيني القرين إلى اللون الأحمر بينما توهجت السلاسل في يدي سديم بنفس اللون تقريبا.

شرع القرين يحكي له

-"إنه مارد ظالم لا يخضع لحكم أحد من الملوك، يقتات على الأرواح البشرية، ينتقي ضحاياه من البؤساء ويمارس ساديته عليهم ،يعذبهم حتى يكونوا على شفا الانهيار وحينها.. حينها فقط يمتص أرواحهم، لقد كان يجوب المدينة حيث أن شيئًا ما حرره من سباته عندما اصطدم قدره بقدر هذه الإنسية، إنه يقطن في نفس البيت الذي تقيم فيه وكاد أن يصيبها بالجنون إنه لا يحترم عهود القبائل ولا يهتم بالثأر، فور أن أتى إلى البيت قام بالقضاء على كل العمار.

-حتى أنه في سابق العهد وقف متحديًا سيدنا!!"

تحولت ملامح الجدية على وجه سديم إلى الدهشة فالخوف بينما القرين يصيح

- "إنه المارد ظاام..!!"

عادت عين القرين إلى لونها الأسود بينما شلت المفاجاة الجميع.

ترك سديم السلاسل تسقط من يده فتحولت إلى خيط من الدخان قبل أن تلامس الأرض وأشار ناحية القرين قائلا

- "اذهب عليك الأمان".

تحولت ذرات جسد الجني لضباب قبل أن تتشتت في كل اتجاه لاحقًا بصاحبته

-"علينا..علينا التدخل" تمتم بها سديم

-"إنه ظام" قال يولاند "إما أن تلك الفتاة هي أقل أهل الأرض حظًا أو أن أحدًا يريد لها ميتة بشعة!"

-"لا أعتقد أنه يوجد في هذا البعد من يستطيع التحكم بظام".

قالها مايكل وهو ينظر ناحية سديم الذي أخذ يفكر ثم أتبع

-"علينا التدخل دون الاشتباك مع ظام حتى لا نجذب الانتباه".

-"أنا أعرف بالضبط ما يجب أن يحدث اتبعاني"

وهم سديم بالمغادرة

******

(٩)

من زمن سحيق

كانت راوند تسير في الطرقات بخطوات متشككة ناحية مصيرها المجهول لا تعلم أي جحيم ينتظرها في البيت، يحركها فضولها لاستكمال الموقف بينما رجاحة عقلها تمنعها من المُضي قدمًا.

طفقت تمشي بلا هوادة حتى خارت قواها وعزمت أمرها، إنها عائدة إلى بيتها!!

وقفت أمام سُلم البيت بقلب يتواثب من شدة الخوف، تنهدت بحزن وأسى وصعدت الدرجات في تثاقل وكأنما تقودها تلك الخطوات إلى مثواها الأخير، استجمعت شجاعتها ودفنت المفتاح في الباب وأدارته بعصبية، دخلت إلى البيت المظلم، أغلقت الباب واستندت عليه بظهرها مغمضة العينين تخشى التوغل في البيت، تخشى أسرتها العائدة من الموت حديثًا أصبحت حتى تخشي نفسها.

فتحت عينيها برهبة ممزوجة بالتردد لا شيء حولها إلا الظلام البريء الذي طغى بثقله على كل الموجودات توجهت بخطوات ملولة قلقة إلى غرفتها.

دخلتها وأغلقت الباب خلفها تناشده ببعض الأمان غير عالمة أنها دخلت بمحض إرادتها إلى المصيدة!

وقفت تسترق السمع فلم تسمع إلا صوت أنفاسها الخائفة.

طمأنها الهدوء، وبخت نفسها

- "عليك أن تكوني أكثر قوة"

خلعت عويناتها وألقتها بإهمال على الكومود الواقع بجوار الفراش، تدثرت بالأغطية طالبة منها الدفء الذي حُرمت منه منذ أن صارت وحيدة في هذا العالم ظلت تستعيد ما حدث لها منذ خسرت عائلتها ما يحدث في بيتها.

-سديم؟ لماذا تشعر بالأمان في وجود ذلك الغريب؟

-لماذا هو؟ بكت كما لم تبك من قبل إلا أن النوم كان أقوى منها.

نامت ودموعها ما زالت تتساقط.

نامت وهي تنطق باسمه سديم!

شعرت بشيء لزج يتحرك على وجهها نفضته بيدها وحكت مكانه وهي على حالها شعرت بشيء آخر يتحرك على قدمها برفق حاولت الإمساك به انزلق من بين أصابعها بسهولة!!

فتحت عينيها بخوف والجنون يتطاير من مُقلتيها أخذت تبحث عن الشئ الذي كان يتحرك فوق جسدها مقلقًا نومتها ارتد إليها بصرها خاسئاً حاولت النهوض من السرير، إلا أن ما حدث قد أفقدها قدرتها علي الإتيان بأية حركة.

رفعت الغطاء، وحينها فقط علمت ماهية الشيء الذي كان يتحرك فوقها.

هالها هذا الكم الهائل من الثعابين التي تتحرك تحت الغطاء!!

كانوا يتعاركون فيما بينهم، مئات الأنواع المختلفة وكل نوع يحاول فرض سيطرته انتفض جسدها بينما أقعدت المفاجأة عقلها عن العمل شعرت بالقشعريرة تسري في أنحاء جسدها وبرودة قاسية زحفت على عمودها الفقري حتى آلمها جسدها تريد أن تتحرك لكن تخشى أن يشعروا بها سحبت قدمها برفق، إلا أن الحركة أثارت جنون الأفاعي التي أخذت تتلوى وتتحرك بشكل عشوائي مطلقة فحيحها في كل مكان.

اقتربوا منها..

حاولوا اعتلائها

بدأت تتخبط هي الأخرى وتتحرك بجنون متفادية الزحف الهائل لهذه الأفاعي التي لا تنوي على شيء إلا التهامها.

استندت على الفراش بيدها ورفعتها سريعا متفادية انقضاضة تلك الأفاعي التي كادت تلتهم يدها بين أنيابها، نزلت بقدميها إلى الأرض قبل أن تقف بشكل مستو.

انتبه أحد الأفاعي إليها، ركز ناظريه عليها وأطلق فحيحًا عاليًا وكأنما ينبه البقية إلى مكانها حاولت أن تصل إلى الباب إلا أن موجة الأفاعي الغاضبة كانت سريعة وفي أقل من دقيقة كانت الأفاعي المصطفة تتقدم ناحيتها.

ألصقت ظهرها بالحائط وصرخت بهلع يكاد قلبها يتوقف من فرط الخوف!!

إنها النهاية صاحت محدثة نفسها بينما أخذت ذاكرتها تُومض أمام عينيها تستعيد تفاصيل حياة ستغادرها الآن وقبل أن تصل إليها الأفاعي اهتزت

الأرض بعنف حتى قاربت على السقوط وسط الأفاعي ثم حدث كل شيء بعدها سريعًا.

انشقت الأرض وبرز منها ثعبان ضخم ملأ الغرفة كلها، كان ضخمًا لدرجة أنه التف حول نفسه عدة مرات حتى تسعه الغرفة وبلا سابق إنذار انقض الثعبان الهائل على الثعابين الأخرى وشرع يلتهمهم الواحد تلو الآخر.

كان سريعًا لدرجة أنه التهمهم جميعًا قبل أن يرتد إليهم طرف.

حاولت أن تكتم أنفاسها بيدها حتى لا ينتبه لها ذلك الوحش العملاق إلا أن رعشة جسدها فضحتها التفت الثعبان إليها وكأنه يدرك للمرة الأولى أنها في الغرفة معه أخذ الثعبان ينظر إليها متحفزًا بلا أي رد فعل.

أما هي فقد أغمضت عينيها متمتمة بصلاة خافتة منتظرة النهاية للمرة التي تجاوزت المائة في أقل من شهر!!

-"لن تجدي الدعوات لن تجدي الصلوات الآن" أتاها ذلك الصوت متخللًا رأسها.

على الأقل ستذهب إلى عائلتها طال انتظارها!

فتحت عينيها ببطء شديد خائفة من الإتيان بأية حركة

إلا أن الغرفة كانت خالية!

نظرت إلى الأرض غير مصدقة لتجدها وقد عادت إلى سيرتها الأولى.

نظرت إلى نفسها في المرآة المقابلة عيناها التي أنهكهما التوتر والقلق شعرها المتطاير في كافة الاتجاهات ثم عزمت أمرها لن تبقى في هذا البيت لدقيقة أخرى.

غيرت ملابسها صففت شعرها على عجل وارتدت عويناتها، لن تأخذ أشياءها، سوف ترسل من يقوم بأخذها في الصباح، فتحت باب غرفتها في ترقب، كان البيت غارقًا في الهدوء وما إن خرجت من الباب وسارت حتى منتصف غرفة المعيشة حتى انقطع التيار الكهربي!!

حاولت الرجوع إلى غرفتها، استدارت وهمت بالرجوع

إلا أنها اصطدمت بشيء يقف أمامها

سقطت على الأرض وأسقطت عويناتها..

تحاملت على نفسها واستندت على ركبتها..

حاولت تحسس الشيء الذي اصطدمت به فانتابتها القشعريرة من ملمس ذلك الشيء الرطب..

كما أن تكوينه لا يشبه الجدار !!

فغرت فاهها وشلتها الصدمة..

إنها إنها تتحسس جسد شخص ما؟

عاد التيار الكهربي ملقيًا في وجهها آخر ما كانت تطمح في رؤيته

وقف أمامها كتلة عضلية بالمعنى الحرفي للكلمة، بلا أي جلد بشري فقط الألياف العضلية الصلبة منتصبة أمامها مكونة فيما يبدو جسدًا مجهول المعالم أما وجهه فكان عبارة عن بقعة سوداء طُمثت ملامحها إلا من عين

واحدة-مشقوقة طوليًا- احتلت نصف وجهه بلونها الأسود المسبب للذعر هكذا بلا أنف، فم أو أذن كيف يتكلم إذا؟!

نهضت بسرعة عازمة على الهرب استدارت فاصطدمت بعنف بشبيه ذلك الشيء إذ يبدو أنه لم يكن وحيدًا.

في هذه اللحظة أعلن عقلها استسلامه وعجزه التام سامحًا لوعيها بالذهاب بعيدًا.. بعيدًا جدًا

قبل أن تسقط أمسك بها ذلك الشيء ثم حملها على ذراعيه القويتين متوجهًا بها إلى غرفتها

داخل الغرفة وقف ذلك الكيان المهيب ضخم الحجم والأطراف، كاد طوله أن يصل إلى السقف، وكان جسده بشريًا خالصًا إلا رأسه التي كانت تشبه إلى حد كبير تنين الكومودوا وإن كانت مشوهة قبيحة، تبرز منها أنياب ضخمة كريهة ولسانه الذي كان يتلوى كلسان الأفعى اقترب منه ذلك الشيء حاملًا راوند بين يديه أطلق خوارًا عاليًا.

وصاح

-"حان وقت الطعام!!"

وضع ذلك الكائن جسدها المسترخي بين يديه فطافت في الهواء وكأنها معلقة بشيء خفي اقترب منها وارتسمت على وجهه الحيواني ابتسامة كريهة.

أخذ يتشممها باستحسان أخرج لسانه المشقوق طوليًا باغيًا إمراره على وجهها.

وقبل أن يلامس لسانه وجهها لم يشعر إلا بالنصل الفضي الحاد الذي أصابه قاطعًا لسانه.

ظل يزوم ويزمجر بشراسة والألم بادٍ على ملامحه التفت إلى باب الغرفة من حيث أتى ذلك الخنجر الفضي الغادر ليجد سديم الذي وقف ممسكًا بخنجر فضي آخر في يده بينما الرسومات الصغيرة تشع نورًا خفيضًا على ذراعيه وخلفه تمامًا وقف كل من يولاند ومايكل ممسكين بعصي فضية مُطلسمة قبل أن يصيح بنبرة تقطر كراهيةً "من يجرؤ على تحدي المارد المهيب ظام".

نظر إليه سديم باستحقار واضح وتحدٍ قبل أن يقول..

-"أنا أسوأ كوابيسك!"

وفي سرعة قام بتوجيه خنجره ليستقر في رأس أحد الكائنات الواقفة بجوار ظام فور أن انغرس الخنجر بالكامل في جبهته حتى أخذ جسده يرتج ارتجاجات عنيفة وتتساقط القطع منه تاركًا مكانه كتلة مجهولة الشكل والملامح من اللحم المحترق!

أصدر المخلوق الآخر صوتًا أشبه بالخوار قبل أن ينقض عليهم.

قُبيل وصوله عاجله مايكل بضربة من عصاه الفضية أسقطته أرضًا

نظر سديم إلى يولاند نظرة ذات معنى فتوجه حيث يطفو جسد راوند في فضاء الغرفة معلنًا إلحاده بالقوانين الفيزيائية وعلى رأسها الجاذبية

أما ظام فنظر إلى سديم نظرة بغيضة تقطر حقدًا وغلًا قبل أن ينقض عليه!!

- "يُرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران"

هكذا صاح سديم

وقبل أن يدركه ظام تشكل في الفراغ ذلك الحاجز النوراني الذي أحاط به، ظل ظام يضرب الحاجز بيديه القويتين حتى بدأت بعض الشقوق تظهر به بينما صوت زمجرته يعلو..

نظر سديم إلى مايكل فوجده يغمد عصاه في صدر المخلوق الذي ظل يتلوى قبل أن يحيق به ما حاق بصاحبه.

أما يولاند فقد أحاط براوند، أغمض عينيه ثم فتحها وقد ابيضت تمامًا، ضم يديه إلى صدره وارتفع عن الأرض بضع سنتيمترات ثم بدأ يترنم في إيقاع ثابت

-"أيها الملك العظيم مالكابا

-أقسمت عليك بعهد الملك سمسائيل أن تطيعني ..

-أقسمت عليك بحق العهد الذي أخذه سليمان الحكيم أن ترسل إلي حاشيتك ومددك".

تنبه ظام عندما نطق اسم سليمان الحكيم زادت ضرباته عنفًا وسديم يُكمل في خشوع

- "احضر مجلسي في هذه الساعة يا صاحب السلاسل العظيم أنوخ أزرهيش أقسمت عليك بالكلمات المقدسات وبحق سورة الضحي وما لها عليك

-أن تسلسل ذلك الجني المارق أجب دعوتي واحضر بحق كل نبإ مستقر..الوحي ..الوحي..العجل..العجل..الساعة..الساعة".

ما إن نطق بها حتى تحطم ذلك الحاجز الذي كان يفصل ظام، ثم فجأة أضاء المكان بنور ساطع أتى من المجهول، أغلق الكل عينيه ليقيها شدة هذا النور بينما تقدم ظام في اتجاه سديم غير عابئ بعينه التي آلمها النور.

على حين غرة تموجت الأرض من تحت قدميه فاستحالت الأرض الصلبة من تحته إلى رمال متحركة أخذت تبتلعه مع سرعة حركته حتى وصلت إلى ركبتيه تقريبا.

لم تعق تقدمه المحموم تجاه سديم وإن قللت من سرعته فقط، كان يخوض فيها مادًا يده في اتجاه سديم

ومن حيث لا يدري انطلقت سلسلة سوداء ضخمة أحاطت بيد المارد ثم كان الظهور الدرامي لتلك المرأة بيضاء البشرة –لا تدري هل أضاءت الغرفه بفعل الضوء أم كان ذلك جسدها فقط!- ترتدي رداءً أحمرا ناريا بالكاد يستر جسدها، ينسدل شعرها الأحمر بدوره خلفها، عينان بلون الدم ، ممسكة بيدها تلك السلسلة الغليظة التي قيدت معصم المارد.

-"أقدم لك (عُميرة بنت الأحمر) سيدة البعد الأحمر وأمينة سلاسل الملك سليمان العظيم"

صاح بها سديم بينما اتسعت عيني ظام في رعب.

عبثًا حاول جذب السلسلة من قبضة عُميرة التي أطلقت ضحكة خليعة قبل أن ينبثق من خلفها زوجين من السلاسل أحاطت إحداهما برقبة المارد أما الأخرى فكبلت يده اليمنى حيث كانت اليسرى مكبلة سلفًا.

ظهر خلفها جسدان أنثويان لا يختلفان عنها كثيرًا وأمسكت كل واحدة منهن بسلسلة.

(زليخة بنت الأحمر)و(نائلة العوينية)وصيفة هند بنت الأحمر.

-"سيدات البعد الأحمر!"

صاح بها مايكل..

ثم وفي تناغم تراجعن إلى الوراء ساحبات معهن السلاسل للخلف بعنف ارتطم جسد المارد بالأرض الرملية التي أخذ يغوص فيها أكثر وأكثر.

نظر بهلع ناحية سديم وهو يولول

- "من أنت بحق الجحيم؟!!"

-"أنا حامي هذا العالم وكل العوالم أنا الأمير أوار بن طارش"

اختفي جسد المارد بالكامل في الأرض آخذًا معه السلاسل في نفس اللحظة التي قيلت بها تلك الجملة.

نظرت عُميرة ناحية سديم الذي انحنى في وقار وقالت بدلال

- "أبلغ تحياتي للملك طارش".

-"سيدتي" قالها سديم وهو يحني رأسه تبجيلًا قبل أن تحيط بها وبرفيقاتها النار مخفية إياهم من المكان.

عادت الأرض صلبة كما كانت ولم يبق من أثر لذلك المارد أو المخلوقات التي أتت معه غير تلك العلامات الغريبة التي تركها على الأرض!!

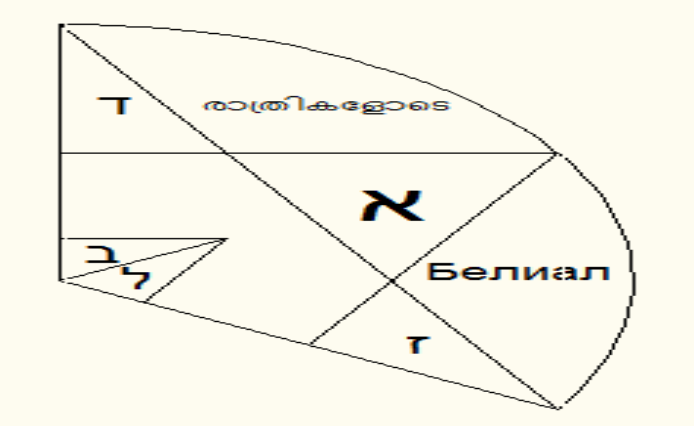

اقترب سديم من العلامة بحذر وأخرج مفكرته من جيبه وقام بنقلها

-"يولاند احرص على أن تختفي هذه العلامات"

قالها وتوجه ناحية مايكل الذي أمسك جسد راوند، أخذ سديم جسدها بين يديه سامحًا لنفسه أن يضمها لصدره هذه المرة.

****

(١٠)

الحسناء

في هذا الوقت لم يكن شيء في العالم يشغل تفكيره بقدر ما كان منشغلًا عليها ظل حاملًا لها بين ذراعيه وكأنها ابنته الصغيرة من بيتها حتى ذلك المشفى القابع في نهاية الشارع في غرفة الاستقبال، قابلته طبيبة شابة ذهلت من شكله ومن القلق المتجلي في عينيه.

اقتربت منه وساعدته في وضعها على سرير نقال وهمت بالرحيل لولا أن استوقفها ثم نطق بالكلمات بصعوبة من أنفاسه المتقطعة.

-"احرصي احرصي عليها".

-"أعدك سوف أفعل"

أجابته تلك الطبيبة بنبرة مطمئنة ثم همت بالرحيل

مرت قرابة النصف ساعة قضاها جيئة وذهابًا في ردهة المشفى أمام غرفة الاستقبال كان القلق والتوتر ينهشان خلايا عقله..

أيكون ظام قد تمكن منها قبل أن ينقذها؟

أكان يجب عليه ألا يتركها ترحل إليه بمفردها؟

قطع عليه تساؤلاته صوت الطبيبة الهادئ قادمًا من خلفه..

-"سيدي؟"

التفت إليها بعينين ممتلئتين بالذعر محملتان بالرجاء.

-"هل؟ هل هي بخير؟"

أجابته مبددة شكوكه أخيرًا

-"إنها الآن بأفضل حال كانت تعاني من هبوط شديد في دورتها الدموية وسوف تقضي الليلة هنا وغدًا يمكنها الرحيل".

تنفس سديم الصعداء وزفر في ارتياح

- "حمدًا لله هل يمكنني أن أراها؟"

-"نعم لكن لا تُطل فهي تحتاج إلى الراحة".

أجابته الطبيبة وهي تفتح له باب الغرفة ليدلف منه.

اقترب من سريرها حيث كانت راقدة عليه ساكنة من أية حركة إلا حركة صدرها وهو يعلو ويهبط.

اقترب منها متأملًا تضاريس وجهها كيف تشكلت بهذا الإحكام البديع؟

يحوم حوله سراب من الأسئلة البلقيسية..

هل بينها وبين بلقيس نسب أم أن الله قد جعلها خليفة للحسن والجمال بدلًا منها؟..

أمسك يدها طبع عليها قبلة رقيقة لا يعلم في الأصل لماذا هو منجذب لها..

لماذا هي دون غيرها من تفعل به هذا؟

إنه انجذاب غير مبرر يشبه انجذاب الطفل إلى أمه من بين عشرات النساء..

فتحت عينيها بوهن، ربت على يدها بحنان

-"ارتاحي الآن فأنت تحتاجين إلى الراحة".

وكأن لكلماته أثر مهدئ على روحها فأغلقت عينيها غارقة في نوم عميق..

أما هو فظل يتساءل أي حظ عظيم نالته تلك الأنوية الدماغية كي تكون جزءًا من مادة خلقها شاهدة على المعجزة!

طبع قبلة أخرى على جبينها وهم بالانصراف.

كان سديم مثقل الكاهل بادي الهم وهو عائد إلى المنزل

- "يجب أن يعلم المعلم الأكبر بما حدث هنا"

همس بها إلى نفسه وهو يدلف إلى البيت.

في البيت

ما إن دخل سديم البيت حتى هرول إليه كل من مايكل ويولاند

-"سيدي هل الفتاة البشرية بخير؟"

صاح بها مايكل مستفسرًا..

أجابه سديم

-"إنها بخير في الوقت الراهن"

ثم أتبع

-"يجب علينا أن نعلم يقينًا هل كان ظام هنا لإثارة الرعب أم لإيذاء هذه الفتاة، علينا إبلاغ المعلم!"

نظر سديم إلى سواره الذي احتل يسراه قبل أن يتغير شكله متحولًا إلى ذاك الجهاز كثير الأزرار.

كان قد اكتشف تلك الميزة به منذ عدة ليال وهو يحاول سبر أغواره ضغط سديم زرًا صغيرًا في الجهاز فانبثق منه شعاع من نور استقر في منتصف الغرفة مشكلًا صورة هولوجرامية للمعلم، لم يلبث أن أتاهم صوت المعلم الرخيم..

-"أبنائي الأعزاء كيف حالكم"

انحني ثلاثتهم بتوقير واحترام

ثم أجابه سديم

- "نحن بخير سيدي، أخبرنا أنت بأحوالكم وأحوال أبي؟"

-"إن المملكة على خير ما يرام وكذلك الملك، إنه فقط يفتقد ابنه الصغير"

قالها المعلم وابتسم ناظرًا ناحية سديم فابتسم سديم بدوره..

-"أخبره أنى سوف أعود في أسرع وقت ممكن والآن سيدي هناك أمر مهم علي إخبارك به"..

أخذ سديم يشرح للمعلم كل شيء من أول تعرفه على تلك الإنسية مرورا باستجوابه لقرينها وظام الذي حاول قتلها ناسيًا أو متناسيًا بعض الأجزاء عن كونه منجذبًا لها.

صمت المعلم قليلًا وأطرق رأسه مفكرًا قبل أن يقول..

-"لا أعتقد أن قدوم مارد بقوة ظام إلى هذا البعد قد يُحمل على أنه صدفة، هناك شيء كبير يتم حياكته لهذا العالم وأخشى أن هذه مجرد البداية"

ثم أردف

- "لقد أحسنت بالإستعانة بالبعد الأحمر، سيكون أبا محرز سعيدًا لعودة سجين قديم" ثم ختم حديثه قائلًا

-"أبنائي الأعزاء توخوا الحذر جيدًا وأبقوني على اطلاع دائم الوداع"

ضغط سديم على زر آخر فعاد الجهاز إلى سابق عهده مزينًا معصمه ثم توجه تلقاء مرافقيه وصاح بهما "هيا علينا الذهاب إلى المكتبة لقد تأخرنا كثيرا"

المقابر...Nunhead Cemetery

الساعة العاشرة صباحًا

وقفت شواهد القبور في صمت وكآبة تراقب القادمين شاهدة على كل الأسرار التي يحتويها المكان.

اقتربت جماعة من الناس من الصف الأول من تلك الشواهد جميعهم قد ارتدوا الملابس الرسمية التي لا تُلبس إلا في الحفلات أو المآتم.

النساء ارتدين الفساتين القصيرة سوداء اللون وذرفت إحداهن دمعة أو اثنتين على استحياء أداءً للواجب.

علي النقيض ارتدى الرجال البزات الرسمية السوداء ذات القميص الأبيض.

تقدم ذلك الجمع شديد السواد قس أتى لمباركة الميتة لا تختلف ملابسه في اللون عن مرافقيه بينما يسير بجواره شاب ثلاثيني يبدو من شكله أنه لم يذق طعم النوم.

ملابسه غير مهندمة تنم عن إرهاق شديد وكأنه نام بها عدة ليال.

كان ذلك هو ثيو الابن الوحيد للمرأة المتوفاة ماريا..

حانت منه التفافة نحو التابوت الذي وارى جسد أمه فسقطت منه دمعة سارع بوأدها في المهد وبدت معالم الأسى والألم جلية على وجهه

أخذوا يمرون بشوارع المقابر المتشابهة لا يفصل بينها إلا لوحة صغيرة هنا أو هناك تخبرك بانتماء هذه المقابر إلى إحدي العائلات..

توقف ثيو عند الشارع الرابع تقريبًا حيث احتلت لافتة صغيرة مدخل إحدى المدافن

كتب عليها مدافن هيرنانديز

اقترب منه عامل المقابر فناوله مفتاحًا كبيرًا أقام الصدأ على جسده الولائم، دسه في البوابة المعدنية المغلقة قبل أن يسمع صوت تكة المفتاح المميزة لفتح الباب

كانت المشاهد أليمة على ثيو فها هم ذي ينزلون الدرجات نحو أسفل حيث سيواري جسد أمه الحبيبة التراب، لقد كان صعبًا عليه جدًا ما يحدث، عقله أقنعه أن هذا مجرد حلم سيء ربما

هل حقًا لن يرى أمه ثانية؟

هل حقًا لن يعانقها أو يداعبها عند عودته من العمل؟

أفاق من شروده ودموعه تنهمر بغزارة..

انتحي جانبا يجففها لا يريد لأحد من زملائه أن يراه بهذا الضعف

أتاه صوت عامل المقابر الرخيم

-"لقد انتهينا أيها السيد"

حانت منه التفافة حيث يقبع جسد أمه ذلك الجسد الذي لطالما امتص كل أحزانه وآلامه

خيل إليه أنه يراها بجوار والده يقفان جنبا إلى جنب رغمًا عنه ابتسم لهذا الخاطر قبل أن يجيب عامل المقابر بعبارات مهتزة

-"شكرًا لك أخبرهم بانعقاد العزاء"

في الخارج رُصت بعض المقاعد الصغيرة بالكاد تسع عدد الملبين، اقترب ثيو من العامل الذي يحوم حوله فنقده رزمة من العملات لم يتعب نفسه بعدها..

فارقه ذلك الأخير وهو يدعو لأمه بالنعيم الأبدي.

اقترب من الصف الأول وأشار إليه القس فبادله بإيماءة من رأسه

وقف القس بملابسه السوداء الباعثة على الرهبة والوقار، أخذ يجول بعينيه المُطمئنتين بين الحضور قبل أن يبدأ كلامه عن ماريا

-"لقد كانت أمًا محبة لأبنائها، لطالما كان حبها لهم محط إعجاب لنا جميعًا، على الناحية الأخرى كانت امرأة متدينة لم تقصر يومًا عسى أن يرحم الرب روحها"

وافقه الحضور بإيماءة من رؤوسهم والأسى بادٍ عليهم

تناوب الحضور في تأدية ذلك الدور كل من له صلة قرابة أو سابقة تعامل وقف يعدد صفاتها الحسنة أما ثيو فيبدو أنه لم يكن معهم في هذه اللحظة

تعلقت عيناه بشيء ما

شيء لا ينتمي لهذا المكان!

وقفت هناك بين الشواهد بطلتها البهية يتراقص فستانها الأزرق المهترئ الممزق في بعض الأماكن بفعل نسمات الهواء وكأن وجودها يبدد كآبة المكان

ارتكزت عيناها على ثيو وكأنها تنفذ من خلاله.

وكأنها تخاطب روحه!

سمع صوتها جليًا في رأسه تلك الأوركسترا الموسيقية العذبة

-" ثيو..!"

هز رأسه عله يتخيل فتخللت النغمات ثنايا عقله من جديد

-" ثيو..! لقد إنتظرتك كثيرًا"

تعجب كيف يمكن أن يسمع صوتها من هذه المسافة!

لكن لا مكان للمنطق أمام تلك الابتسامة..

داعبت الريح خصلات شعرها فابتسمت بعفوية مبعثرة ما بقي من ثبات ذلك التعيس، كاد أن يتحرك قاصدًا إياها قبل أن يفيق من هلوساته على صوت القس وهو يحدثه..

-"هل أنت بخير يا بني؟"

-"نعم يا أبت أنا بخير" أجابه باقتضاب ثم وقف على مضض يستمع لعبارات التعزية بينما عقله شارد لا يفكر في شيء سوى تلك الحسناء التي سلبته لُبه

التفت فوجدها هناك ثابتة تطالعه بعيون تصيب بالخبال وكأنها مغناطيس وهو قطعة معدنية وقعت في نطاقه

طرد عن ذهنه هذه التخيلات سريعًا وشعر بالخجل من نفسه

أنا رجل متزوج في مأتم أمه يجب أن أتمالك نفسي علي اللعنة!!

لم يكد يعود إلى صوابه حتى أتاه صوتها محطمًا تلك الحصون التي نسجها حول نفسه

-"ثيو..! أنا هنا من أجلك"

ثم أردفت بنبرة واثقة

- "سوف تعود أنا هنا في انتظارك يا صغيري".

أدار رأسه وعندما نظر إلى مكانها ثانية كانت قد اختفت!!

(١١)

ذاك الغريب!

قبل ثلاثة أيام

في ظلام الليل المقفر

ارتفعت شواهد القبور وكأنها أعناق قد برزت من الأرض تطالع ذلك القادم من بعيد

كان هو الآخر متشحًا السواد لا يفرقه عن ظلمة الليل المحيطة إلا ذلك المصباح في يده أو ربما تلك الشمعة في يده لا يمكن أن تتبين يقينًا من هذه المسافة، كان يمشي ببطء شديد وكأنه لا يسير في المقابر وحيدًا بعد منتصف الليل!!

انحرف مرة واحدة داخلًا أحد الأزقة الموجودة في المقابر فهربت هرة شاردة قاطعها ظهوره عن وجبة ما..

ونعقت بومة على شجرة قريبة ثم حلقت في الأفق

ظل ذلك الزائر الغريب سائرًا في صمت لا يقطعه إلا صوت حفيف ثوبه الأسود ذو القلنسوة أو صوت بعض مخلوقات الليل

ثم توقف فجأة وأطال النظر إلى باب مقبرة بعينها كانت مقبرة كبيرة بُنيت بالكامل من الرخام وكأنها ضريح فيكتوري صغير

اقترب من البوابة متطلعًا للاسم الذي نحت على المدخل

كتب بخط ذهبي تآكل مع الوقت هنا ترقد الدوقة (ليما دي أنطونيو)

ألقى القمر بأنواره على خجل انعكست على وجه ذلك الغريب فلم يظهر من ملامحه إلا ثغره الذي اتسع في ابتسامة غامضة وكأنه قد وجد ضالته ومبديًا بعض التجاعيد على وجهه.

اقترب من البوابة في صمت وقبل أن يضع يده عليها فُتحت وكأنها كانت في انتظاره هي الأخرى!

في الداخل كانت بعض درجات السلم المفضية إلى داخل القبر، وضع قدمه عليها في ثقة لا تتناسب تمامًا مع المكان الذي تقوده إليه وبدأ في النزول درجة فالثانية فالثالثة، سبع درجات وكان في قاع القبر الآن..

حيث دفنت تلك الدوقة أيًا من كانت

في الداخل كان هناك وعلى مقربة من الأرض لوحة رخامية مثبتة في إحدى الحوائط نقش عليها هي الأخرى اسم تلك الدوقة

ركع ذلك الغريب بمحاذاة اللوحة ثم وضع يده عليها وكأنه يستشعر شيئًا ما

ثم وفي تناغم شديد صاح

-"يا سيدة الأراضين العظيمة اسمعي ندائي

-يا حورية الليل الجليلة أجيبي دعائي

-أقسمت عليكِ يا (ذات المحاسن) يا بنت الملك الساقط من الأعالي

-بحق الاسم الذي نزل على الجبل ففتته..

-وعلى ظلمة الليل فبددها وعلى النهار فاظلم علشاقش بعلشاقش

-أجيبيني أيتها الملكة ليتنزل نورك عليا الآن ولتحلي في هذا الجسد

-اسمعي عزيمتي ولتُفتح البوابة.. لتُفتح البوابة!"

مرت ثوانٍ قصيرة غلفها الهدوء ذلك الهدوء المخيف..

صمتت فيه كل المحيطات حتى الهواء وكأنه وقف مراقبًا منتظرًا أي هول سوف يحدث

استشعر ذلك الغريب اهتزازة خفيفة في الأرض فابتسم وكأنها علامة قبول تلك العزيمة الملعونة التي ألقاها

زادت حدة الاهتزازات وكأن الأرض توشك على أن تلفظ ما بداخلها..

سرت تلك الرعشة في أرض المقابر كلها مسقطة توم عامل المقابر من مرقده، خرج يتلفت لا يفهم ما يحدث وكأن الأموات يوشكون على الخروج..

نادى على ماكس ذلك الكلب الكسول الذي ورثه عن والده كما تلك المهنة، ثم انطلقا يهرولان لا يلويان على شيء.

أثناء جريهما المحموم لفت نظره بوابة إحدى القبور القديمة مفتوحة على مصرعيها توقف على الفور وأشار لماكس بيده فتوقف بدوره..

"أيها الأوغاد تحاولون سرقة المقبرة في مناوبتي هيا بنا ماكس لنلقن ذلك البائس درسًا لن ينساه"

تقدم من المقبرة غير عالم أنه هو البائس ها هنا..

في داخل المقبرة لم يختلف الوضع عن الخارج كثيرًا

كانت الأرض تهتز بعنف وكأن القبر على وشك الانهيار على نفسه بينما تشققت اللوحة الرخامية وسقطت على الأرض وكأن أحدًا قد دفعها من الداخل!

سمع ذلك الغريب صوت جلبة في الخارج، تنامى إلى سمعه صوت نباح كلب فابتسم قائلا وهو يغادر..

-"لقد وصل العشاء!"

تراءى لتوم ذلك القادم من الداخل فتأكدت شكوكه..

صاح فيه..

-"قف أيها الحقير سوف تُلعن لفعلتك هذه"..

وقف ذلك الغريب أمام باب الضريح وقد ارتسمت على محياه ابتسامة جعلت أوصال توم ترتجف..

حاول توم استمالة ماكس لمهاجمته بيد أن ذلك الأخير أخذ يزوم ويتقهقر إلى الخلف مصدرًا ذلك الصوت الذي تصدره الكلاب عند الخوف..

تحرك الغريب تجاههم بضع خطوات وهو يقول بصوت كالفحيح

-"عندما يعود الأموات إلى الحياة لن يبقى للأحياء إلا هذه التوابيت للاختباء"..

فوق رأسه تمامًا كان هناك شيء يهبط من أعلى وكأنه قد قفز من خلفه..

لم يكن ذلك إلا هيكلًا عظميًا يرتدي فستانًا أزرقًا مهترئًا في بعض الأماكن!..

حاول توم أن يهرب وحاول الاستدارة فتعثر في جسد ماكس الذي شلته المفاجأة بقدره تمامًا..

اقترب منه ذلك الهيكل أكثر، أخذ توم يزعق محاولًا تأخير نهايته المحتومة..

-"ابتعد عني أيها المسخ".

اقترب منه الهيكل حتى كان وجه توم يبعد عنه بضع سنتيمترات قبل أن يقول

-"لا مهرب لك مني..!"

وبحركة رشيقة اعتلاه ذلك الهيكل العظمي ثم قام بتقبيله..

فور أن لامست شفتاه تلك العظام اهتز جسده وانتفض وكأنه يتم امتصاصه، ظل جلده يتغضن ولحمه يتساقط حتى أصبح هيكلًا عظميًا لجثة هامدة، إما ذلك الهيكل المهاجم فقد وقفت هناك مُزدانة بابتسامة تحمل من السحر والوحشية القدر نفسه!!

*****

في المكتبة

كان سديم يجلس في مكانه المعتاد ممسكًا كتابًا في يده بالكاد قرأ منه..

كانت عينيه وكل حواسه متعلقة بباب المكتبة..

كله أمل أن تأتي..

أسبوع كامل لم يرها، لم تذهب فيه إلى العمل أو تأتي إلى المكتبة، كل ما يعرفه أنها غادرت المشفى..

لم يكن مرحًا كما عاهده الناس بل كان شاردًا تمامًا وكأنه قد انطفأ بغيابها..

مرت الساعات مثقلة كاهله..

ظل يراقب الباب الساعة تلو الأخرى..

تلتمع عينيه بأمل كلما دلف أحدهم إلى المكتبة ويعاوده الإحباط من جديد عندما يطالع أحدًا غيرها..

-"سديم..؟"

صاح بها يولاند من خلفه

-"لقد حان وقت الرحيل إنها الحادية عشر"

قالها مايكل وهو يقترب منهما..

تنهد سديم بأسى

- "هيا بنا".

أثناء خروجهم برقت فكرة في عقله، ربما هي لا تزال هنا؟

وبدل أن يمشي في طريق بيته غير وجهته إلى بيتها، تنبه كل من يولاند ومايكل لما يفعله فتلاقت عيناهما في صمت..

ظل يسير حتى دخل الشارع الذي يقبع به بيتها..

زادت ضربات قلبه حدة..

ترى هل ذهبت؟ لو كنت مكانها لذهبت من فوري!

وأخيرًا أضاءت له الدنيا أنوارها وشرح الأمل صدره..

لقد كانت الإضاءة منبعثة من إحدى نوافذ البيت..

وعلى تلك الإضاءة لمح خيالًا يتحرك، خيالًا بات يحفظه عن ظهر قلب ، خيالها!

-"إنها هنا"

غمغم بها وهو يتنهد بفرح..

ثم استدار قاصدًا البيت ومعه صديقاه اللذان ابتسما لما رآه هكذا..

كانوا منهكين بحق..

كاد يولاند ومايكل أن يفترشا الأرض فور وصولهما..

-"عمت مساء سديم"

قالاها معًا ثم صعدا السلم بخطوات مترنحة..

أسرع سديم إلى المكتبة وظل يعبث في أدراجها ثم ابتسم ابتسامة النصر إذ يبدو أنه قد وجد ضالته..

كان يمسك بيده قنينة كبيرة بها سائل شفاف ما، ربما كانت فضة مذابة أو زئبق لا أدرى، أخرج من إحدى الأدراج الأخرى قوالب صغيرة الحجم نسبيًا لرموز وطلاسم من الصعب أن تتبين كنهها..

التقط سديم من تلك القوالب قالبًا بعينه..

كان يشبه إلى حد كبير مفتاح الحياة في الحضارة المصرية القديمة، أعاد القوالب الباقية إلى مكانها.

تناول تلك الزجاجة الغريبة والقالب ثم توجه بهما إلى الطاولة..

فتح الزجاجة بحرص كبير ثم قام بسكب محتوياتها بدقة شديدة وتأنٍ داخل القالب..

فور أن لامست تلك المادة القالب حتى تحولت إلى اللون الذهبي..

في خلال دقيقة امتلأ القالب بتلك المادة..

أمسكه سديم بيده وهو يردد بعض العبارات بلغة غير مفهومة..

لربما كانت السومارية أو اللاتينية، لا تستطيع الجزم قطعًا..

اقترب سديم من المدفأة ممسكًا القالب وما يحتويه في يده ثم قام بقذفه في النار..

ظل سديم لدقائق يشاهد النار وهي تلتف حول القالب الذي تآكل بفعل الحرارة متجاهلة المادة الموجودة داخلها والتي لم تزدها النار إلا توهجًا..

أمسك قضيبًا معدنيًا وأخرج به تلك الكتلة المعدنية التي صارت مفتاحًا الآن، مفتاح الحياة!

وضعه بعيدًا في دلو به بعض الماء كان موضوعًا في إحدى الأركان، تناول سديم زجاجة الحبر الغريبة تلك وريشة الكتابة من المكتبة وكالسابق أخذ يخط رسمًا جديدًا على يده..

رسم مفتاح الحياة.

انتهي من الرسم فتمتم بكلمات أخرى غير مفهومة ختمها بقوله تميمة الربط، اقترب من الدلو وأخرج منه المفتاح ثم بخطوات مرهقة صعد إلى غرفته متحسسًا طريقه في الظلام..

تناول من الكومود الذي بجانبه سلسلة قام بتعليق ذلك المفتاح بها، كان على ما يبدو قد أحضرها في وقت سابق..

وضعها بجواره ثم ارتمي على السرير في إرهاق شديد..

لم يستغرق الأمر أكثر من ثوانٍ معدودة قبل أن يغط في نوم عميق غير منتبه لذلك الضوء الذي أخذ يومض على سواره قبل أن يخفت تمامًا

أربعة هم..

لابد من جمعهم ومعًا سوف يحررون السيد العظيم..

أولائك اللعناء لقد أحكموا إغلاق البوابة لكن لدينا فرصة

لا سحر يضاهي سحر هؤلاء الملاعين...

يجب أن تبدأ به، به وحده يكمن السر..

أتقصد المفتاح؟

إنه هو المفتاح!!

******

منزل ثيو

عاد إلى منزله منهك القوى يلملم شتات أمره، كان يومه كارثيًا كأقل وصف يمكن أن يُقال عن يومه، بدأ الأمر منذ أقلقت تلك الأحلام مضجعه..

عاد من المقابر يوم وفاة أمه متخبطًا تصارعه مئات الأفكار المتضاربة، يتحطم قلبه على فراق أمه الحبيبة بينما لا يستطيع إزالة تلك الوافدة الجديدة إلى عقله..

الحسناء التي خطفت لُبه..!

بالكاد استطاع بشق الأنفس أن يزيلها من خياله لحظات..

للحظات فقط تسلل النوم خلالها..

ظن أنه نجا منها قبل أن يقع فريسة لها في الأحلام..

تقف هناك بطلتها البهيجة، ما زال فستانها الأزرق المهترئ يرفرف في النسيم العليل، يتخلل الهواء شعرها مموجًا إياه..

فقط عينها تغيرت كانت سوداء، سوداء بالكامل!

أجفل من مرآها هكذا وأزاح وجهه عنها قاصدًا الهرب..

وكلما توجه تجاه قبلة معينة قاصدًا الفرار منها أدركته، سمع صوتها يتردد في رأسه مصيبًا إياه بالصداع..

-"لا مهرب لك مني"..

ثم أظلمت الدنيا في عينيه.

أجفل وانتفض جسده، اعتدل في نومته منغمرًا في عرقه..

بادِ الإنهاك وكأنه كان يجري هربًا من وحش ما..

استيقظت زوجته جيسيكا على صوت أنفاسه العالية وقلبه الذي يتواثب في صدره موشكًا على الخروج من مكانه.

-"ثيو..!"

قالتها ماطة كل حرف من حروفها..

تنبه لتلك اللهجة..

نغمة الصوت تلك لم تكن أبدًا لزوجته!

حرك رأسه تجاه المرآة المقابلة للسرير بتردد حتى وقعت عينيه عليها، وجدها هناك تطالعه في المرآة وتبتسم..

إنها..إنها الحسناء..

انتفض جسده بعنف حتى كاد يسقط من على السرير..

أمسكت به زوجته وهي تصيح فيه..

-"ثيو هل انت بخير؟"

لم ينشغل باله بالإجابة بل رفع عينيه بخوف ليطالع وجهها

أراد أن يتأكد أنها هي..

تهللت أساريره قليلًا إنها جيسيكا ببشرتها السمراء وشفتيها المكتنزة، زوجته الحبيبة.

-"لا..لا شيء يا عزيزتي..مجرد حلم سيئ".

ربت على يدها مطمئنًا ثم استدار ينفض عنه آثار ذلك الكابوس المزعج، ما أقلقه حقا هو ذلك العطر الأنثوي مجهول الهوية الذي انتشر في المكان!!

استدار يسأل زوجته عنه علها ترضي فضوله..

وجدها تغط في نوم عميق ثم عبثًا حاول النوم من جديد..

تمرد عليه النوم كطفل أرعن يأبى ترك ألعابه والذهاب للاستذكار..

طالع الساعة في هاتفه فوجدها قاربت الرابعة صباحًا.

زفر في ضيق..

ساعتان ويجب عليه الاستيقاظ ليلحق بعمله لما لا ينهض لتناول القهوة، قطع عليه ذلك الخاطر الصوت الذي تردد في المكان..

نظر لزوجته ثانية فوجدها نائمة عندما عاد الصوت مجددًا أقوى هذه المرة

-"ثيو"..

-"ثيو"..

أحس وكأن الصوت قادم من داخله هو من عقله هو

نفض عن ذهنه هذه الخيالات ونهض بتثاقل من الفراش..

مر بجانب المرآة ولو فقط انتبه لها، لو فقط نظر لها لوجدها هناك تطالعه بابتسامة الصياد الذي أحكم الحصار على فريسته..

إنها تلك الحسناء!

وقف ثيو في المطبخ بإرهاق يعد قهوته الصباحية..

لطالما اعتبر القهوة خمره الخاص.

الخمر المباحة كما يحب أن يسميها، ذلك المشروب السحري الذي دائمًا ما ينجح في تعديل مزاجه مهما كان متعكرًا..

أعدها على مهل وهو يراقبها كعادته الأثيرة، راقبها وهي تنساب برفق في كوبه الخزفي الأبيض على الأضواء المنعكسة على الكوب بدا له وكأن هناك من يقف خلفه..

لم يكن انعكاسًا بل وكأنه صورة مطبوعة لا يمكن أن تنعكس على كوب!

ضيق عينيه محدقًا في تلك الصورة وقبل أن يدرك صاحبها سقطت القهوة من يده..

إنها هي من جديد!!

استدار بسرعة فوجد المكان خلفه خاليًا فقط صوتها ما أكد له أن الأمر لا يمكن حمله على الهلوسات..

جملة واحدة ظل صداها يتردد داخل حجرات عقله المغلقة..

لا مهرب لك مني..!!

أمضى الساعات القليلة السابقة لعمله يتلفت يمينًا ويسارًا يبحث عن شيء ما أو بالأحرى أحد ما!

أعلنت دقات الساعة وصولها إلى المحطة السابعة..

انتفض بفزع من تلك الدقات ونهض عازمًا على الرحيل..

لم يكن أمره في العمل يختلف كثيرًا عما حدث له في بيته، مرارًا توقف بالسيارة لأنه طالعها على إحدى جوانب الطريق..

كاد يصدم سيدة مسنة تعبر الشارع مع حفيدتها لو لم ينتبه في آخر لحظة متمالكا نفسه.

وقف أمام مقر عمله..

محاسب بنكي مرموق المكانة هو، تزوج من زميلته في الجامعة بعد الكثير والكثير من الإخفاقات العاطفية..

تزوجها منذ ثلاثة أعوام ولم يرزقهم الله بالأطفال بعد..

كان يطالع عينيه المنهكة في المرآة الصغيرة المتموضعة أمامه قبل أن ينتفض ويصرخ برعب لا يتناسب مع عمره البتة..

لقد كانت تجلس خلفه!!

استدار بحدة يطالع مكانها والذي وجده فارغًا كالعادة

-"لقد فقدت عقلي بكل تأكيد"

غمغم بها وهو يترجل من السيارة مغلقاً باباها بعنف.

استدار داخلًا البنك، لم يلحظ ذلك الخيال ذاته وهو يتشكل داخل السيارة وهذه المرة نظرت إلى ظهره وهو يسير أمامها متخبطًا وابتسمت بتشف..

توالت الكوارث على رأسه فالمصائب لا تأتي فرادى أبدًا، كاد أن يضرب عميلة خُيل إليه أنها هي، اصطدم بأحد العاملين مسقطًا ما يحمل في يده من مشروبات ملوثًا نفسه والمكان، كاد بخطئه الغير مقصود أن يتسبب بخسارة كبيرة للبنك.

أرسل المدير في طلبه، عنفه وكأنه طفل في الثامنة ضبطته أمه يلعب في بركة الوحل أمام البيت، ثم أرسله للبيت على الفور صائحًا فيه وعيناه تقطر غضبًا

-"إن بقيت ها هنا دقيقة أخرى سأرسلك إلى البيت وهذه المرة بصفة دائمة..!!"

عاد إلى البيت يجرجر أذيال الخيبة من خلفه فقط لتبدأ سلسلة من الأمور الغريبة الجديدة.

(١٢)

سحرُها

سديم

استيقظ سديم وكله أمل على غير العادة، كان موقنًا من أن يومه هذا هو اليوم الموعود..

تحمم على عجل وارتدي ملابسه وتأكد من أنه وضع تلك القلادة في جيبه ثم نزل إلى غرفة المعيشة في الأسفل حيث مايكل ويولاند

تناولوا جميعا إفطارهم سويا ثم هموا بالانصراف، مرت ساعات النهار الأولى على سديم ثقيلة..

كل ساعة تنقص من أمله قليلًا حتى شارف اليأس على الفتك به وحينها تنبه لتلك الطلة البهية التي أطلت من الباب..

تلك الابتسامة البابلية

والعيون الإغريقية.

فطن الآن وهو يتأمل قسمات وجهها كيف فُتن بها..

اقتربت منه تمشي في دلال وقلبه يتمايل مع تمايلها، لقد غُمس في سحرها حتى غرق، أفاق من شروده على ضحكتها فارتبك أكثر، هو الذي وقف أمام جنيات وادي حور

كيف جعلته تلك الإنسية كالدمية في يدها!

إلا أنها ليست مجرد إنسية

هي فتاة يغار من جمالها ضوء القمر لو أدركها سكان الجاهلية يومًا لنصبوها إلهًا يسجد له البشر

تأمل ضحكاتها كاد يصيح

أيها الناس أروني ثغرًا كجمال مبسمها

احتضنت يده يدها بود وشوق كبيرين

-"لقد اعتقدت أنك غادرتي المدينة"

قالها بصوت خافت

لاحظت ارتباكه فزادت ابتسامتها وزاد توتره بالمقابل

-"لقد كنت مغادرة حقًا لكن لا أعلم ماذا حدث.. شيء ما أو أحد ما أبقاني هنا"

قالتها بدلال ثم نظرت إليه نظرة ذات معنى

فهم ما ترمي إليه ولأول مرة منذ عدة أيام ابتسم حتى بانت نواجزه

بادلته الابتسامة بدورها ثم عاجلها صائحًا

-"أعتقد أن طاولتك قد اشتاقت اليك"

- "وأنا كذلك قد اشتقت لها كثيرًا"

أجابته ثم ضحكت كاشفة عن صف من الأسنان المرمرية المرصوصة كالبنيان

توجهت إلى الطاولة التي تجلس عليها منذ اليوم الذي رآها فيه

قطعت وجهتها ثم استدارت

-"هل يمكنك أن تأتي لي بكتابي من فضلك"

قالتها ثم أكملت المسير

تناول سديم كتاب، أصل الأساطير الذي لم تنته منه بعد من أحد الأرفف

فتحه على أسطورة بعينها ثم قام بتعليق القلادة هناك في محاذاة تلك الصفحة واضعًا بجوارها رقًا صغيرًا من الورق

ذهب إليها، وضع أمامها الكتاب برفق متأملًا عيناها من خلف العوينات، لاحظت تلك النظرات فاحمرت وجنتاها خجلًا ثم قالت له "أشكرك على إعادة العوينات لي" ابتسم لها ثم همس

- "لقد وددت الاحتفاظ بها لكن تبدين أكثر جمالًا بها"

ازدادت حمرة وجهها مضيفة إليها جمالًا على جمال

قالت باهتمام

-"لكن كيف عرفت أني في مشكلة؟"

-"لم أعلم يقينًا لقد كنت أمر بجوار البيت لأجدك ملقاة هناك على السلم وقد غبتِ عن الوعي"

أجابها وعيناه تتعلق بها مراقبًا رد فعلها بينما تذكرت هي تلك المشاهد الأليمة ففرت دمعة شاردة من عينها

مسحتها بسرعة بينما توترت قسمات وجهه لمرآها هكذا

ثم تابعت "شكرًا لأنك كنت هنا من أجلي".

- "دائمًا..سأظل هنا دائمًا".

أتاها رده منزلًا السكينة على قلبها

هم بالرحيل، تحرك خطوتين ثم استدار هامسًا "هل لي أن اقترح عليكِ أسطورة ما، أسطورة رجل الغابات ربما"

ثم وبخطوات سريعة عاد إلى مكانه

تناولت راوند الكتاب ولاحظت به نتوءًا صغيرًا وكأنه مغلق على شيء ما، فتحته على الأسطورة التي اقترحها لها سديم لتصدمها تلك القلادة المعلقة هناك والورقة الموضوعة بجوارها

نظرت ناحية سديم فشجعتها نظراته التي تقطر هيامًا على المتابعة..

فتحت الورقة وهي تطالع تلك القلادة الذهبية الغريبة.

"إن تلك القلادة تمثل مفتاح الحياة، تميمة مصرية قديمة تعطي حاملها الحياة عندما ينتقل إلى العالم السفلي، ومثلها أنتِ بالنسبة لي يا راوند، وجودك فقط ما يمنحني الحياة، المخلص دائمًا وأبدًا سديم"

رفعت عيناها عن الورقة تجاهه وهذه المرة كانت دموع الفرح ما طالعها سديم تلتمع في عينيها

*****

منزل ثيو من جديد

داخل البيت كان الجو كئيبًا يُصيب بالإحباط

برودة قارسة اجتاحت المكان

ظل يبحث عن سبب مُبرر لها فلم يجد

كلما أثقل ثيابه زادت وطأة البرد وكأنها مسابقة لعينة من نوع ما

جيسيكا تقف هناك تؤدي وظائفها بحركة ميكانيكية رتيبة لا روح فيها وكأنها دمية ماريونت كبيرة ، فقط بين كل دقيقة وأخرى تنظر إليه نظرات غير ذات معنى

نظرات زادت من ارتباكه وتخبطه النفسي، اقتربت منه حاملة في يديها أطباقًا وُضع فيها طعام لم يتبين كنهه، وضعت الأطباق أمامه وجلست مقابله

-"ألن تتناولي معي الطعام؟"

لم تجبه ولكن نظرت إليه وكأنها لا تفقه شيئًا مما يقول..

على مضض أشاح ببصره عنها دافنًا وجهه في الطعام..

لم تتحرك ولم تشح ببصرها عنه..

تسائل بينه وبين نفسه..

هل هي حية من الأساس؟

شعر بالخوف أكثر من نظراتها فعزم أمره

-"سوف أذهب للنوم"

قالها ثم قام من مجلسه متوجهًا إلى غرفة النوم شاعرًا بنظراتها تحرقه من الخلف

جافاه النوم..

ظل قرابة الساعة يتقلب في الفراش لم يسمع ذلك الصوت الذي يتردد في عقله منذ البارحة

أراحه هذا الخاطر قليلًا قبل أن يكمل التفاتته على السرير وجدها هناك عند الباب تطالعه

انتفض فزعًا..

بدت عينا جيسيكا الواقفة هناك في الظلام غير بشريتين بالمرة

-"جيسيكا!!" صاح بها بهلع..

-"ماذا تفعلين هناك في الظلام"

تردد صدى صوته في الغرفة مؤكدًا على كلمة الظلام..

بينما وقفت هي كتمثال شمعي كبير لم تقم بأي رد فعل يدل على أنها قد سمعته ثم من تلقاء نفسها التفتت للخلف مغادرة قبل أن تستدير وتسدد إليه نظرة كانت كفيلة بإفقاده ما بقي من عقله..

بعد ساعة أخرى أتاه النوم فارضًا سلطانه على كل حواسه..

لم يشعر كيف نام أو ما المدة التي قضاها نائمًا..

تململ في نومته..

هناك هواء ساخن على وجهه..

ألم يكن البيت يشبه القطب الشمالي منذ قليل؟

حاول التحرك فلم يستطع وكأن هناك شيء ما جاثمٌ فوق صدره..

بالكاد كان يستطيع التنفس الآن

بينما زادت سخونة الهواء الذي يضرب وجهه، فتح عينيه بذعر ويا ليته ما فعل!

كانت هناك ممددة بالكامل فوقه عيونها مصوبة تجاه عينيه بينما لم يكن هذا الهواء الساخن إلا أنفاسها

-"جيسيكا؟!"

صرخ بعنف كفتاة صغيرة وجدت أمامها حشرة ما

لم تجفل ولم تتحرك بل حتى لم تطرف عيناها، اقتربت منه أكثر، أخرجت لسانها ممررة إياه على وجهه، وكأنه طعام تتذوقه!

أجفل من تلك الحركة بشدة وحاول النهوض فلم يقوَ وكأنه مثبت في السرير ثم فجأة هبطت من فوقه ماشية في الظلام إلى خارج الغرفة..

تخللت حركتها تلك النظرات التي ظلت تسددها له.

أتته القوة أخيرًا لينهض من مكانه، اقترب من باب الحجرة بحذر.

طالعها فوجدها هناك تجلس في براءة ونظرها معلق به.

لن يبقى في هذا البيت لدقيقة أخرى، بدل ملابسه على عجل وإهمال، تناول هاتفه ومفتاح السيارة وهم بالنزول.

خرج إلى غرفة المعيشة فوجدها هناك تقف أمام الباب ونظراتها ما زالت معلقة به

اقترب منها كاد أن يصيح بها أو حتى أن يضربها إذا لزم الامر

إلا أنها تحركت من تلقاء نفسها مُفسحة له المجال

وقد علت ملامحها ابتسامة شيطانية.

قاد السيارة حتى البنك ثم أوقفها.

مرهق هو، مرتبك وخائف، لا يعلم ما الذي أصابه، أي جحيم هذا الذي فتح أبوابه على حياته الهادئة.

كاد أن يبكي، أن يرثي حاله، تمالك نفسه ووضع رأسه على المسند المثبت في مقعد السيارة بحسره وأسى، قبل أن توافيه سنة من النوم.

كانت عينيه تتحركان سريعًا جدًا في محجريهما وعلى جبهته نبتت بعض قطرات العرق البارد إذ يبدو أنه يحلم، كابوس ربما

من علامات الألم المرتسمة على وجهه

وجد نفسه يفترش الأرض، قام بتثاقل وجسده يؤلمه وكأنه قد سقط من علوٍ.

كان يقف في أرض المقابر، ما زال يتذكرها رغم أنه لم يأتِ إليها كثيرًا في حياته

تبدلت الأرض وتبدلت الأجواء

وجد طاولات مبعثرة هنا وهناك، ربما تجد بعض الزينة مُلقاة هناك على بعض الشواهد وعلى البعض الآخر تجد بعض الإضاءات

كان المكان كله أشبه بحفلة راقصة عملاقة غير أنها تقام في.. المقابر!!

كان يمشي متأملًا تلك المشاهد الغريبة

قبل أن يجد ما هو أغرب

لم تكن الحفلة هي الغريبة أو حتى مكان إقامتها، بل المدعوون لها، وجدهم هناك يقفون في تنظيم وكأن على رؤوسهم الطير.

جمع غفير من الرجال والنساء ارتدوا جميعًا ملابس الحفلات بيد أنها كانت مهترئة وكأنها قد استعملت في سابق العهد ولمدة طويلة.

أعناقهم مُسلسلة بجنازير حديدية غليظة كلها تنتهي بشواهد القبور.

عُلقت على الشواهد تلك السلاسل وكأنها ضمان لعدم الهروب!

بينما أمسكوا بأيديهم سلاسل مختلفة أقل غلظة، كان يظن أنهم يمسكون بحيوانات أليفة من نوع ما قبل أن يمضي أكثر ليجد تلك السلاسل تنتهي بأطفال!

أطفال عرايا كيوم ولدتهم أمهاتهم يسيرون على أربع ويتمسحون بأقدام الحضور!

لم يكد يبلغ مقدمتهم حتى بدأوا ينزعون عنهم ثيابهم في عنف منظم، الواحد تلو الآخر حتى لم يبق غيره في المكان مرتديًا ثيابه!

كاد أن يهرب، أن يفرغ ما في معدته الفارغة من الأساس من هول ما يرى قبل أن تقع عينيه عليها، واقفة هناك كأول يوم رآها فيه بين الشواهد غير أن فستانها كان أسودًا فخمًا هذه المرة وليس أزرقًا مهترءًا

وكأن رؤياها أسكرت حواسه وكأنه عُمي عن كل ما حوله، لم يكن يرى شيئا إلاها

-"ليلة ساحرة هي"

همس بها فأتاه ردها في عقله

-"أنت حبيبي الذي لطالما انتظرته أنت مُخلصي"..

أدار وجهه متعجبًا ورفع رأسه في غموض..

-"أخلصك من ماذا؟"

-"لتخلصني عليك أن تأتيني أولًا لقد طال انتظاري"

همست بها في عقله وكأنه-عقله ليس هو- أداة استقبال لصوتها أو موجة راديو خاصة بها وحدها بينما زادت ابتسامتها ثم وبخفة حركة دلالها انسحبت من بين الحضور من دون أن تلتفت وكأنها الواثقة على أمر قد بات في يدها

زاد فضول ثيو، شق الحضور خلفها، يحاول الوصول إليها قبل أن تختفي، ظل يبحث يُمنه ويُسره، حتى وجد كأسًا مقدمًا له وهي تقول له بغنج واضح

-"اشرب حتى ترتوي!"

وكأنه عبد يؤتمر بأمر ملكته، أطاعها وشرب ما كان في ذلك الكأس.

أحس بمعدته تتقلص وكأنه قد ابتلع سكينًا ينهش بها قبل أن يستيقظ من نومه في السيارة مفرغًا ما في معدته!

تمالك أعصابه بالكاد

ارتشف بضع رشفات من الماء من زجاجة وجدها بجواره في السيارة.

أخرج هاتفه من جيب معطفه، كانت الساعة قد قاربت الوصول إلى الثانية والنصف.

حاول مسح أثار النوم عن عينيه ونفض ذلك الحلم المزعج عن مخيلته.

فتح قائمة الأسماء في هاتفه، وقف عند اسم مارثا ثم ضغط على علامة الاتصال

لم تكن تلك إلا والدة جيسيكا، أراد أن يخبرها بكل شيء فعلته ابنتها وذلك المقلب البغيض الذي أوقعته فيه!!

استمع لجرس الهاتف بعيون شبه مغمضة من الإرهاق

قبل أن يأتيه صوت مارثا الناعس "ثيو؟ كيف تجرؤ على الإتصال بي في هذا الوقت؟ بل كيف تجرؤ على الاتصال بي بعد ما فعلت؟"

بصوت مرتعش أتاها رده"بعد ما فعلت؟ ما الذي فعلته؟"

-"ألا تعلم ما الذي فعلته، كيف تفعل هذا بصغيرتي العزيزة، كيف تضربها هكذا أيها الوغد الحقير!"

أظلمت الدنيا في عينيه، شعر وكأنه يدور ويدور حول نفسه.

قبل أن تكمل مارثا

- "لن أقبل منك أعذارًا أخرى، إنها هنا وسأحرص على ألا تراها ثانية"

-"هل أتت اليوم؟"

سألها ثيو متضرعًا لله أن تقول نعم

أجابته مارثا

-"بل منذ يومين"

وحينها لم يستطع التحمل أكثر

سقط الهاتف من يده، إن كانت جيسيكا عند والدتها منذ يومين فمن التي كانت تشاركه الفراش؟!

تجاهل صراخ مارثا على الهاتف القابع في أرض السيارة وأدار محرك السيارة قاصدًا الذهاب الي مكان واحد

المقابر!!

****

-"ثيو عزيزي متى عدت من العمل؟"

أدار رأسه على أحد الجوانب ناظرًا لها قبل أن ينقض عليها موسعًا إياها ضربًا، ظل يضربها حتى أدمى وجهها

لم ينتبه لتك الآهات ولا الاستغاثات وكأنه مبرمج فقط على الأذى

حملها من ذراعها مُلقيًا إياها أمام الباب ووقف هناك يبتسم لها ابتسامة قادمة من قعر الجحيم ذاته!!

****

(١٣)

نهاية شجية

المقابر
الساعه الرابعة فجرًا

ترجل من السيارة بعدما أوقفها قريبًا من المدخل يسير بخطى مترددة إلى المقابر كبطل إغريقي، يسير إلى مصيره المحتوم الذي وضعته له الآلهة

تلفت في كل الاتجاهات، لا أحد ها هنا ليشهد على هذا العمل الأحمق الذي ينوي فعله.

اقترب من البوابة فوجدها مفتوحة، لم يتفاجأ هذه المرة بل شعر بالخوف في قراره نفسه.

أيًا كان الشيء القابع في ظلمة المكان الموحشة فهو في انتظاره.

ظل يهيم في المقابر بلا وجهة محددة، قبل أن يقف في مكان معين

أين رآه من قبل؟

عادت ذكريات حُلمه الموحش إلى عقله دفعة واحدة

لقد كان هنا في الحلم!

استمر في المشي قبل أن يرفع بصره عن الأرض فاغرًا فاهه من الدهشة، لقد كانوا يقفون هناك تمامًا كما رآهم مع اختلاف بعض التفاصيل

لم يكن هناك أطفال مُسلسلون يمشون على أربع كما اختفت تلك السلاسل التي شاهدها سلفًا تطوقهم فقط كانوا يقفون هناك ذاهلين أبصارهم شاخصة إلى الفراغ

انبثقت من وسطهم فجأة وكأن هذا الجمع قد لفظها إليه، قادمة نحوه بعينين اخترقتا روحه في ثوبها الأسود الذي سبق أن طالعها به في ذلك الحلم الملعون.

تذكر الكأس الذي أهدته إياه فتقلصت معدته وكاد أن يتكلم لولا أن وضعت إصبعها على فمه

أمسكت يده، رشف من مائِهِ المعلق في حنجرته تاركًا زمام الأمور لها

كانت تقوده في الطرقات وكأنها تحفظها عن ظهر قلب

توقفت أمام ضريح بعينه، كان ذا طابع معماري قديم.

بطرف عينه لمح هناك وتدين خشبيين مثبتان أمام باب الضريح مباشرة.

وضعت يدها على خده الأيسر برفق، أدارت رأسه تجاهها ركزت عينيها على عينيه

ثم مالت ناحيته طابعةً قبلة طويلة على شفتيه

أحس بضربات قلبه تتوتر، شرعت تنزع عنه ملابسه على عجل.

قبل أن تمسكه من يده بعنف وتطرحه على الأرض بقوة لا تتناسب مع تركيبها الأنثوي إطلاقًا، نزعت ثوبها الأنيق ملقيةً إياه على الأرض بإهمال قبل أن تعتليه ممارسةً معه الرذيلة بطقوس شيطانية.

أحس بالألم يجتاح جسده، لمح بطرف عينيه أولائك الحضور

وقد تحولوا جميعًا إلى جثث متعفنة باتت تطالعهم الآن.

أدارت رأسه تجاهها بعنف هذه المرة طابعة قبلة أخرى على فمه، هذه المرة تذوق طعم الموت في شفتيه

******

الصباح التالي

كان يوما روتينيًا مر على سديم الذي انهمك في تلبية طلبات الوافدين والتجول بين الأرفف يبحث عن كتاب معين لهذا أو يعيد كتابًا إلى مكانه من يد ذاك.

لم يختلف الأمر كثيرًا بالنسبة لكل من يولاند ومايكل

فقد انغمسوا في المنظفات من كثرة التنظيف.

أفاق سديم من شروده عليها وهي تدخل المكان..

علي الفور تهللت أساريره، عادت إليه الحيوية والنشاط، كأنما هو يستمد رونقه وقوته منها

لوحت له مبتسمة بحنان ثم توجهت إلى طاولتها وأمسكت بكتابها الذي بات سديم يبقيه هناك دائمًا من أجلها، تطالع فيه مرة وتطالع سديم في أخرى

هو الآخر لم يستطع أن يركز، كان قليلًا ما يشيح ببصره عنها.

مرت الساعات قصيرة جدًا بالكاد شعر بها سديم، أفاق من شروده على صوت مايكل

-"سديم إنها العاشرة مساءً وحان وقت الإغلاق".

لقد أمضى قرابة الست ساعات هناك واقفًا يتأمل ملامحها على مهل ويتبعثر قلبه على عجل.

بالكاد شعر بكل ذلك الوقت.

-"هيا بنا"

صاح سديم ثم وقف متوجهًا ناحيتها

-"راوند؟"

رفعت عينيها عن الكتاب عندما سمعت صوته..

أجابته وهي مبتسمة "سديم" وكأنها تتذوق الاسم لا تنطقه فقط

-"أخشى أنه وقت الإغلاق" تمتم بها بينما تنبهت هي

-"يا إلهي لقد تأخر الوقت كثيرًا لم أنتبه، هل يمكن أن أطلب منك معروفا؟"

صاحت بصوت رقيق

-"بالطبع"

أجابها سديم دون تفكير..

نظرت إلى الأرض ثم همست له بخجل

- "هلا أوصلتني إلى البيت فقد تأخر الوقت؟"

ابتسم سديم ثم أجابها

-"هذا من دواعي سروري"..

أثناء قيامها من على المقعد لمح القلادة التي أهداها لها تزدان بعنقها فابتسم أكثر

عند المدخل وجد يولاند ومايكل واقفين، تنبها أنها تسير بجواره فتبادلا النظرات، صاح بهما سديم دون أن يتركها "سوف ألحق بكما في المنزل" ثم أشار إليها ليبدآ المشي في الطريق المقابل قاصدين بيتها.

كان يحس أنها تمنحه الأمان في هذه اللحظة..

الأمان الذي تتوسمه هي فيه، مشوا متجاورين صامتين

لم يقطع ذلك الصمت إلا نظراتهم، نظرات أبلغ من كل الكلام..

تعثرت بحجر فكادت أن تسقط، على الفور أمسكها..

نظرت إلى يده الممسكة بذراعها فتدرجت وجنتاها بحمرة الخجل فسحب يده على الفور وابتسما معًا.

أثناء مرورهما بجوار المقابر أحس سديم بانقباضة في صدره وشعور عام بعدم الارتياح، هناك شيء غير عادي هنا!! تمتم بها بينه وبين نفسه

تنبهت راوند لنظراته المعلقة بالمقابر

-"هل كل شيء على ما يرام؟"

صاحت بها مخرجة إياه من تساؤلاته.

-"نعم كنت أظن أني رأيت شيئا ما" أجابها على الفور ونظراته تعكس عكس ما يقول

قادها إلى البيت ووقف يتأملها وهي تصعد الدرجات، لو أن الأمر بيده ما افترق عنها دقيقة واحدة.

استدارت لتواجهه قبل أن تدلف إلى الداخل

-"أراك غدًا شكرًا لك" قالتها بنبرة ممتنة

ابتسم لها قبل أن يقول

-"سوف أكون في انتظارك"

ثم هم بالرحيل.

أثناء طريق العودة كان حريصًا على أن يكون أكثر قربًا من المقابر.

اقترب سديم من السور الحديدي الذي يفصل أرض المقابر عن باقي المدينة وجد هناك الكثير والكثير من ماده صفراء غريبة

اقترب أكثر، أمسك ببعض منها، تحسسها بيده وقربها من أنفه مستنشقًا بعضًا منها.

إنها ماده الكبريت!

كانت المادة ملقاة هنا وهناك بلا هوادة

انقبض صدره أكثر، تناول حفنة منها في قبضة يده ثم أطلق ساقيه للريح متوجهًا إلى البيت.

دفع سديم باب البيت بعنف وخطا إلى الداخل

أجفل كل من يولاند ومايكل عند رأيته هكذا

"سديم هل أنت بخير؟"

سأله يولاند بنبرة قلقه

استند سديم على أحد الأعمدة ملتقطًا أنفاسه

ثم أجابه "هناك شيء ما يحدث هنا، في المقابر على وجه الخصوص، لا أدري كيف لم ننتبه له، لقد اقتربت من المكان لأجده كله مملوء بالكبريت"

ثم اقترب منهما ناثرًا ما في قبضة يده على سطح الطاولة أمامهم.

قال مايكل "كبريت؟ يستلزم الأمر تجسدًا لكائن قوي جدًا ليخلف الكبريت في أثره"

"ليس جميعهم" أجابه سديم واقترب من المكتبة الضخمة ثم تناول منها كتابًا كبيرًا ذو غلاف جلدي غليظ خُط عليه عبارات بمزيج من السومرية واللاتينية (ظُهورات وعلامات)

فتح سديم الكتاب وهو يطالع بعينيه الأسماء القديمة التي زينت جبهات تلك الصفحات باحثًا عن ظهور ما له علاقة بالكبريت والمقابر على حد سواء.

النواصير السبعة، العوام، نائل النكاح..

قبل أن يقف على عنوان بعينه استرعى انتباهه

حسناء المقابر!

"إنها هي" صاح بها سديم..

"هل توصلت لشيء ما؟" سأله مايكل الذي كان منشغلًا مع يولاند في إخراج الأسلحة

"اسمعا هذا" قال سديم "إنها حورية عنيدة، مارقة من نسل المارق الأول، سيدة الليل هي، يطيعها الليل بكل مخلوقاته، لا تظهر إلا في المقابر ولكي تحضر لابد أن يجد لها الساحر جسدًا لفتاة ذات حسب ونسب ليرضي غرورها، فرائسها من الرجال تغريهم بجمالها الذي لا يُضاهي ولا يقاوم، وبترانيمها التي تأسرهم وتجعلهم خاضعين لها حتى تجامعهم حاصدة منهم ماء حياتهم"

"إنها تعشق الأمور الدرامية" قالها يولاند ساخرًا

-"انتظر حتى تسمع هذا"

تمتم بها سديم ثم أكمل..

-"وحده رجل نجا من إغوائها يستطيع التغلب عليها عن طريق غرس وتد فضي في قلبها، إنها حسناء الليل، ذات المحاسن!!"

ختم سديم جملته بأن أغلق الكتاب معيدًا إياه إلى مكانه.

-"أعتقد أن لدينا عملًا نقوم به"

صاح بها سديم

ثم ذهب إلى يولاند ومايكل متناولًا منهما بعض الأسلحة قبل أن يخرجوا جميعًا متوجهين إلى المقابر

وقف ثلاثتهم في أرض المقابر متحفزين، التفوا حول بعضهم مكونين دائرة حتى لا تفاجئهم ذات المحاسن بظهورها

كل واحد منهم أمسك في يده وتدًا فضيًا نُقش عليه بعض الطلاسم..

تابعتهم عين القطط القابعة في الزوايا فتذكر سديم مقولة الليل بمخلوقاته ينصاع لها

-"إنها تعلم بوجودنا"

همس بها سديم فتحفز كل من يولاند ومايكل مشددين قبضتهم على الوتد القابع في أيديهم

كادوا أن يبلغوا وسط المقابر عندما لفت نظر سديم ضريح ما، كان يبدو عليه الهيبة، اقتربوا منه فتنبه سديم على الفور إلى ذلك المشهد المقزز.

أمام باب الضريح مباشرة ارتفع وتدان خشبيان، عُلق على كل واحد منهما جثة بدت من ملامحهما أنهما أعدما على ذلك الوتد.

كانت إحدى الجثتين متحللة أما الثانية فقد بدا أنها حديثة نسبيًا منذ يوم أو اثنين ربما

-"إنها تزين عرينها بموتاها"

قال مايكل باشمئزاز واضح.

-"علينا أن نفترق ونبحث عنها"

قالها سديم فوافقه يولاند القول

اتخذ كل واحد منهم اتجاهًا ثم تحركوا معًا

دخل سديم الضريح أولًا متجاهلًا رائحة الموت التي يعبق بها المكان فوجده خاليًا على عروشه

هم بالخروج قبل أن يسمع صوتها يتردد في عقله مناديًا إياه

-"سديم..!"

معلنًا بداية اللعبة.

كان مايكل يسير وسط شواهد القبور يلتفت حوله بين الحين والآخر وكلما توغل أكثر اشتدت قبضته على سلاحه، انعطف في أحد الأزقة فوجدها هناك تقف أمامه بثوبها الفضفاض وابتسامتها الساحرة.

أحكم الإمساك بسلاحه ثم شرع يجري ناحيتها وقبل أن يصل إليها اختفت من المكان بينما تردد صوت ضحكاتها الماجنة في المكان

لم يكن يولاند أفضل حالًا من مرافقيه، فقد طفق يسمع صوتها حينًا ويراها أحيانًا أخرى حتى دخل أحد الشوارع المتشعبة المُلأى بالأضرحة التي تظفر بهم المقابر فوجدها هناك تقف بشموخ واعتداد.

تحرك ناحيتها فتحركت بدورها إلى اليمين داخلة إلى أحد الأزقة

وصل إلى نهاية ذلك الشارع واستدار مثلما فعلت هي فوجدها تقف هناك بانتظاره تريد منه أن يلحق بها، اقترب منها بحذر فقط لتختفي من أمامه مرة أخرى، ثم وعلى حين غرة أتاه صوتها من خلفه تمامًا

"يولاند!"

تخدرت أحاسيسه من نغمة صوتها، شعر بقبضته تضعف على سلاحه لدقيقة لم تمهله هي أخرى، فجأة حملته في الهواء ملقية إياه على إحدى شواهد القبور الحجرية..

سقط على الأرض فاصطدمت رأسه بالحجارة، أصبحت الدنيا تدور به وتشوشت الموجودات من حوله من ألم ارتطام رأسه بالحجر، زحف بضعف تجاه الوتد الذي سقط منه لما باغتته

أتته ضحكتها السادية من خلفه في اللحظة التي وصل بها إلى الوتد

أمسك الوتد بقبضة ضعيفة وصوتها مازال يتردد في رأسه مُنحيًا كل حواسه جانبًا

كانت تقف فوقه الآن استدار بوهن محاولًا غرس الوتد في أي جزء من جسدها تطاله يده، عاجلته بضربة من قدمها في صدره ثم أمسكت الوتد غارسة إياه في قدمه.

صرخ بعنف شق هدوء الليل، نظرت إليه ثم استدارت تاركة إياه يئن من الألم، تتبع خطاها فوجدها متوجة ناحية سديم ، حاول الصراخ، حاول أن ينادي عليه محذرًا فأبى صوته أن يغادر حنجرته.

تحامل على نفسه متجاهلًا ألمه أمسك الوتد، سحبه من قدمه وعض على يده محاولًا تحمل الألم، ثم أخذ يزحف على الأرض متوجهًا نحو سديم.

****

"سديم" ظل اسمه يتردد داخل عقله بصوتها المزعج الذي يمنعه من التركيز

كان عائدًا إلى حيث بدأ مسيرته عند ذلك الضريح الذي وضعت تذكارها أمامه عندما أتاه الصوت أكثر حدة هذه المرة

"سديم" التفت ليجدها خلفه مباشرة!

كاد أن يضربها بالوتد بيد أنها صدت ضربته بيدها مسقطة الوتد منه

لم يكد يفيق من دهشته لقوتها المفرطة حتى حملته من رقبته، قذفته إلى أعلى قبل أن يسقط على الأرض

وقفت فوقه تبتسم في كبر ثم أسرت إليه

"علي أن أعترف أني لم أقتت على أمير من قبل سيكون الأمر اممم حسنا ما الكلمة أوه لذيذًا".

اقترب مايكل من خلفها متسللًا، كاد أن يغرس وتده في قلبها لولا أنها أحست به فسددت إليه ضربة بيمينها على وجهه أسقطته على الأرض شبه مغشيًا عليه

عادت إلى سديم الذي كان يفترش الأرض غير قادر على النهوض

- "إنها حماقة منك أن تهاجمني في الليل فكما ترى أيها العفريت الأحمق أنا هي سيدته الوحيدة والآن أين كنا؟ آها إنه وقت الطعام!"

انحنت حتى كانت في مستوى رأسه، اعتلته محاولة تقبيله فحاول سديم أن يراوغها، أن يتملص منها ثم فجأة فتح عينيه ليجد الدم يغطي وجهه..

شلال صغير من الدم انبثق من فمها، بينما وتد فضي قد غُرس في قلبها، أخذت تتلوى كالحية بعنف قبل أن تسقط على الأرض هيكلًا عظميا لا حياة فيه لم يلبث أن تحول إلى تراب..

قام سديم من رقدته تلك بسرعة متوجها ناحية يولاند الساقط على الارض غارقًا في دمائه

-"هل أنت بخير؟"

سأله سديم بتوتر

-"نعم أنا بخير نسبيًا"

أجابه يولاند قبل أن يُغشى عليه

ساعد سديم مايكل على النهوض، انتبه إلى تلك العلامات التي ظهرت مكان جثة ذات المحاسن

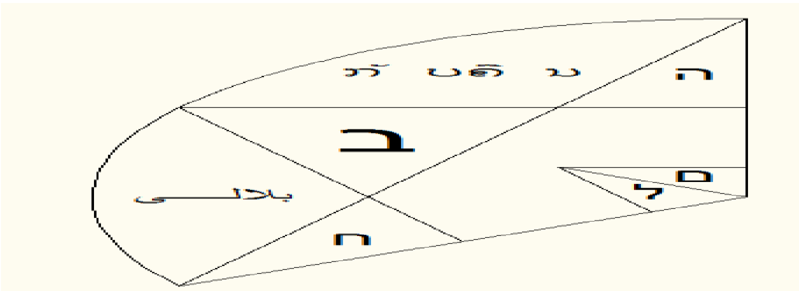

-"علامة أخرى؟"

همس بها ثم أسرع بإخراج مفكرته ونقلها إليها قبل أن يعود إلى مايكل ويساعده على حمل يولاند إلى البيت.

*****

اقترب ذلك الغريب ذو الرداء الأسود من البقعة التي ذهبت منها ذات المحاسن إلى مثواها الأخير

وهو يقول

- "عزيزتي يؤسفني ما حدث لك لكن وجودك كان ضروريًا"

ثم استدار محدثًا نفسه

- "والآن بقيت علامة واحدة أخيرة وحينها يبدأ عهد الرعب من جديد!"

******

(١٤)

أبطال آخرون

ظلام كثيف من حوله حيث أحاطت به الأشجار من كل حدب وصوب، ظل يتلفت خلفه لا يعلم من ماذا يهرب من الأساس

لقد رآها حدث نفسه رغم أنه لم يتبين كنهها إلا أنه رآها، أحس بالأمان قليلًا لقد ابتعد لمسافه كافية ربما.

أو هكذا كان يعتقد!

تشنجت عضلاته من أثر هذا الجري المحموم وبات يمشي الآن في ظلمة الغابة الموحشة.

يفزع كلما اصطدم بغصن متدل من أحد الأشجار أو يدوس على الأوراق المتناثرة التي تساقطت سلفًا من أشجارها حتى تعثر فجأة وسقط مفترشًا الأرض، لوهلة أسره جمال الطبيعة الليلية الخلابة وأسراب البوم المتمركزة على الأغصان تلك العيون المضيئة التي تتابعه!

العيون المضيئة؟!

سرى الخوف في جسده مصيبًا إياه بالقشعريرة، تراجع إلى الخلف حتى ألصق ظهره في إحدي الأشجار الكبيرة وسمع صوت ما به نغمة أنثوية واضحة، بدأ الأمر كهمس بالكاد يصل إلى مسامعه قبل أن يتحول الأمر

إلى صراخ مزق نياط قلبه، خرجت من وسط الأشجار الكثيفة تمشي الهوينى، التمعت عيناها في ضوء القمر القادم على استحياء كانت متقدمة نحوه وكأن شياطين الجحيم جميعًا يتراقصون من خلفها محدقين إليه..

أتت نسمة هواء خفيفة حركت ثوبها الأسود الفضفاض..

ألم يكن أبيضًا عندما طالعها أول مرة؟

اقتربت منه أكثر، لمح يديها لأول مرة، تلك لم تكن يدين أبدًا بل زوج من المخالب الحادة، كمخالب الحيوانات الضارية!

حاول الصراخ بملء رئتيه بالهواء وقبل أن يصيح عله يجد عابرًا ينقذه، تحركت بسرعة كحيوان ضار مطبقة على رقبته بيديها، بل بمخالبها للتدقيق، عبثًا حاول الفرار وكأنه قد وقع بين فكي تمساح مفترس.

راقبت هي الحياة وهي تتسلل من عينيه، روحه وهي تخفت تدريجيًا

-"هل اعتقدت أنه يمكنك الهرب من الخناقة أيها الإنسي البائس؟"

سألته بتشف قبل أن تلقيه على الأرض بعنف جثة هامدة لا حياة فيها..

عادت الغابة إلى هدوئها المعتاد الذي لم يقطعه إلا صوت ضحكاتها الخليعة المترددة في المكان.

****

قبل ثلاثة ساعات

على حدود المدينة البعيدة وفي منطقه شبه نائية على أطراف الغابة، اقترب ذلك الغريب المسربل بالسواد من كوخ خشبي ما، تلفت حوله في تحفز ثم دلف إلى ذلك الكوخ إذ يبدو أنه القاطن الوحيد في ذلك المكان المقفر.

يبدو الكوخ من الداخل وكأنه مكتبة صغيرة من نوع ما.

تراصت مئات الكتب القديمة على الكثير من الأرفف المنتشرة هنا وهناك، بدا من كمية التراب القابع فوقها أن أحدًا لم يلمسها من فترة طويلة.

اقترب ذلك الغريب من النوافذ وقام بإسدال الستائر ثم توجه إلى ركن بعينه في الكوخ، كانت الأرض في تلك البقعة عبارة عن باب خشبي عملاق يُفتح لأعلي ربما كان يفضي إلى قبو ما.

تناول ذلك الغريب شمعة من أحد الأرفف وعلبة ثقاب ثم هم بالنزول، تكون ذلك السلم الذي كشف عنه الباب الخشبي من أربعة درجات، انتهت بحجرة ترابية كبيرة دُعمت جدرانها بالأحجار، التفت ذلك الغريب في الظلام متوجهًا إلى نقطة محددة ثم قام بإشعال الشمعة التي بددت ظلمة المكان قليلا.

في وسط الغرفة وعلى مقربة منه كان هناك شخص ما مقيد إلى كرسي خشبي كبير، كان ذلك الشخص على ما يبدو من حالته الراهنة أنه مغشي عليه منذ ساعة على الأكثر، اقترب منه ذلك الغريب بعد أن قام بتثبيت الشمعة على رف خشبي لا يبعد كثيرًا عن الشخص المقيد

رُصت على ذلك الرف المزيد من الكتب وبعض القنينات وريش الكتابة، تناول ذلك الغريب قنينة وريشة وغمس الريشة في القنينة التي اتضح أنها تحتوي حبرًا أحمر اللون من نوع ما، أمسك الريشة بيسراه ثم قام بالكتابة على كفه الأيمن

بعلشقش داعوج..

ثم اقترب من ذلك الشخص المقيد وأمسك بالريشة ثم قام برسم بعض الطلاسم والرموز الغريبة على أطراف جبهته ثم في منتصفها تمامًا كتب (عاينة) بلاتينية خالصة.

أخرج من أحد الأكياس بخورًا من نوع ما له رائحة نفاذة، وقام بنثره على الأرض مكونًا دائرة حول المقعد الذي قُيد إليه ذلك الشخص، أخرج علبة الثقاب من جيبه ثم قام بإشعال أحد الأعواد وألقاه على تلك الدائرة فاشتعلت كلها على الفور، خطا ذلك الغريب بثوبه الأسود إلى داخل الدائرة غير عابئ بالنار، اقترب من ذلك الشخص المقيد وصفعه على وجهه عدة صفعات متفاوتة القوة وهو يصيح به

-"استيقظ يا عزيزي هاري! يجب أن يشهد القربان حضور ملكته"

فتح هاري عينيه بفزع والصداع يهتك بخلايا عقله، فقط لتطالعه ابتسامة ذلك الغريب، ابتسامة سوداء كئيبة.

اقترب منه الغريب أكثر ووضع كفه الأيمن على منتصف جبهته وهو يتحدث بلغة لم يفهم منها هاري حرفًا

-"بعلشطل بكهولش..بطمش بطغريوش..بصبطوش ببكشالش..هشول هاشاول..أقسمت عليكِ أيتها الملكة عائنة بحق القدرة التي تنزلت على الجبل فانغرس وعلى الأرض فسُطحت..بعلشقاش..آيات الله احفخ.. اخفخ بهقهلش..آيات الله دعوج..أجيبيني أيتها الملكة وعجلي..واسمعي عزيمتي..أسرعي وشمي دختني..وليُقبل البرهان..ليُقبل البرهان"

أثناء ما كان الغريب يصيح بتلك الكلمات كان جسد هاري ينتفض والعرق ينهمر منه بغزارة، أحس بجمرة من النار وضعت في مجرى دمه

الذي كان يحرقه حتى بكى، رفع الغريب يده عن جبهة هاري ليجدها بيضاء من غير أثر، لقد اختفت الكتابات والرموز من عليها علامة قبول القربان!

نظر إلى هاري ثم قال بفرح

- "إنها قادمة"

تنبه هاري لشيء ما يتشكل خلف ذلك الغريب، طالعه هاري بعينين فزعتين وكأنه يطالع الشيطان ذاته

من خلفه تمامًا ظهرت تلك المرأة، عجوز شمطاء هي بجسدها الممتلئ المزري، وجلدها ذو اللون الأبيض المجعد المنفر، ووجه يليق بوحش ضار، تساقط أغلب شعر رأسها، وعينيها الجاحظة كعيني الحربائة، لولا ثدياها المترهلان على صدرها بشكل يصيب بالاشمئزاز لما عرفت أنها أنثى

انحنى ذلك الغريب أمامها بوقار ثم تمتم بلغة ما غير مفهومة لهاري هي الأخرى التي لاحظ أنها تختلف عن سابقتها، فتكون حولها ضباب ما، ضباب غلف جسدها مُلبسًا إياها ثوب أبيض، طالعه هاري على جسدها فور أن انقشع الضباب.

أحس هاري بقيوده ترتخي شيئًا فشيئًا، لم يفوت الفرصة وبكل عنف سحب يديه وقدميه من الحبل الذي انحل بسهولة!

كان أقربهم إلى السلم، حمل المقعد ملقيًا إياه في طريقهم ثم سارع بالهروب مغلقًا الباب خلفه، لم يلحظ الابتسامة الشيطانية التي علت وجهها، قبل أن يخرج من باب الكوخ متوجهًا إلى الغابة

****

الدكتور واتسون

كان الدكتور واتسون رجلًا في منتصف العقد الخامس من العمر، أسود البشرة هو، ممتلئ الجثة، يعمل طبيبًا للعيون في عيادة خاصة به افتتحها منذ قرابة الخمسة عشرعاما، لم يتزوج إلى الآن، في سابق العهد أحب إحدى زميلاته، كانت شقراء إنجليزية جميلة الطلة، ويالسعادته في اليوم الذي صارحها فيه بحبه.

ألقت عليه شباكها مخبرة إياه أنها تهيم به عشقًا هي الأخرى، ولأن الحياة لا تسير على هذا المنوال شديد البساطة اكتشف بعد شهر من أحلام اليقظة المتعلقة بها عندما تركته بلا سبب مبرر وامتنعت حتى عن إلقاء السلام عليه أنها أخبرته بذلك لأنه كان موضع رهان بينها وبين صديقاتها، من منهن يا تُرى تستطيع إخراج واتسون من مخبئه وجعله يتعلق بها بدلًا من الكتب وقد كانت الغلبة لها

حينها تحطمت نفسيته تمامًا وكاد حلمه في أن يصير طبيبًا أن يذهب أدراج الرياح لولا أن تدارك نفسه ولملم شتات روحه قبل فوات الأوان.

من تلك اللحظة أقسم ألا تطأ قدم امرأة حياته مرة أخرى وعندما يتطرق أحد زملائه للحديث معه في هذا الموضوع كان يجيبه بأنه لا يوجد ما يسمى بالحب بل إنما هو مجرد تفاعل كيميائي ومجموعة من الهرمونات التي يمارس الدماغ بها ألعابه علينا وبهذه الإجابة كان يختم الموضوع نهائيا.

استيقظ واتسون في تمام السابعة والنصف بنشاط كما هي عادته، لديه يوم حافل في العيادة، حدث نفسه بذلك وهو ينفض آثار النوم عنه سريعًا.

قام من على سريره قاصدًا الحمام، تحمم سريعًا بالماء الساخن ثم خرج يلف حوله منشفة، استغرقه الأمر نصف ساعة وكان انتهى من الاستحمام وارتدي بزته السوداء الأنيقة، وقف في المطبخ لبضع دقائق يعد قهوته الصباحية لا يريد أن يهاجمه الصداع.

تناول شريحتين من التوست وقطعة من الجبن ثم انتهي من قهوته على عجل وتناول معطفه من جوار الباب ثم خرج.

نزل إلى الشارع متجاهلًا سيارته الرابضة أمام مدخل البيت كالعادة

- "إنه يوم جميل لبعض التمشية"

حدث نفسه بهذا ثم بدأ في المشي.

قابله هواء الصباح البارد مكسبًا إياه المزيد من النشاط، عشرون دقيقة من التمشية وكان أمام عيادته الراقية، كان في طريقه للدخول إلى العيادة قبل أن يلحظ تلك السيدة التي وقفت على مسافة بعيدة تطالعه، جعلت نظراتها القشعريرة تسري في جسده قبل أن يتجاهلها داخلًا إلى العيادة.

دخل الدكتور واتسون العيادة بخطوات هادئة راسمًا حوله هالة من الوقار، ألقى التحية على إيما الممرضة بابتسامة ودودة قبل أن يدلف إلى الغرفة المصممة لإجراء الكشف والفحوصات الطبية على مرضاه.

انهال عليه المرضى من كل حدب وصوب وكأن لندن كلها على شفير العمى!

بالكاد استطاع تذكر تلك العيون التي كانت تطالعه مسببة عدم الراحة له

في الثالثة عصرًا كان موعد استراحته، أحضرت له إيما طعام الغداء بالإضافة إلى فنجان خزفي أنيق يحوي بعض الشاي.

أخبرته أنه لا يزال هنالك كشف واحد متبقي قبل الانتهاء ثم حيته وخرجت بأدب متمنية له وجبة لذيذة.

تناول طعامه بتأن مستمتعًا بشرائح السلمون المدخن المفضلة لديه والتي عكف على تناولها من مطعم قريب منه يرسلها له يوميًا في ذات المعاد.

انتهى من طعامه وغسل يديه في دورة مياة ملحقة بغرفة الكشف، تناول فنجان الشاي من على المكتب وسار به حتى النافذة المقابلة له ليحتسيه هناك.

اهتز الكوب في يده وكاد أن يسقط عندما وجدها واقفة هناك في الناحية الأخرى من الطريق تطالعه باهتمام بالغ، إنها تلك العيون من جديد!

عاد إلى مكتبه سريعًا، فقد شهيته تجاه الشاي، ضغط على زر مثبت بجواره فصدر في الخارج صوت يشبه جرس الباب، أتته إيما مستعلمة فأخبرها بأن تدخل المريض الأخير.

انتهي من ذلك الكشف الأخير سريعًا، تناول معطفه وخرج من الغرفة، كان التوتر ظاهرًا عليه، اقتربت إيما منه وسألته باهتمام واضح

- "هل أنت بخير دكتور؟"

أجابها بعيون مرهقة

-"نعم أنا بخير أراكِ غدًا"

ثم ابتسم لها ابتسامة أقل دفئًا من المعتاد وغادر سريعًا وهي هناك ترمقه بنظرات متشككة، خرج من العيادة يتلفت حوله عله يطالع هذه السيدة الغريبة من جديد فلم يجد أمامه إلا الفراغ، ضحك من نفسه على هذه

الأفكار الصبيانية التي لا تتناسب مع عمره البتة ثم هم بالرحيل قاصدًا المكتبة.

كانت الساعة الرابعة والطريق هادئ نوعًا ما، لم تكن المكتبة بعيدة عن عيادته أكثر من عشر دقائق.

زفر بارتياح وهو يقف أمام بابها الزجاجي، تلفت بغتة فوجدها هناك على الجانب المقابل من الطريق كالعادة تنظر إليه، شعر بالخوف فجأة -خوف غير مبرر لا يعلم مصدره- وأغمض عينيه لبرهة ولما فتحها كانت قد اختفت!

نفض عن ذهنه هذه الأفكار التي لا طائل منها ودفع باب المكتبة داخلًا منه، اقترب من سديم الذي كان منشغلًا بالتطلع إلى راوند كما اعتاده، حَياهُ بمودة كما اقتضت العادة بينهما ثم ذهب إلى طاولته "إنهما ثنائي مثالي" همس بها لنفسه ثم ضحك بأسى قبل أن يجلس إلى طاولته، دفن وجهه في الكتاب الذي أمامه منشغلًا به عن كل ما يدور حوله في العالم، لطالما كانت القراءة حب حياته.

يقرأ ليحلم، يقرأ ليعيش، يقرأ ليعوض الأشياء التي لم ولن تكون له في الواقع.

كان محبًا للموسوعات الطبية، دائمًا ما يحب أن يبقي نفسه على اطلاع بمستجدات الأمور، بيد أن ما كان يستهويه حقًا هي سير السابقين والحضارات الغابرة وبخاصة المرعبة منها.

تنبه لساعته فوجدها الثامنة والنصف موعد الرحيل فقام بتكاسل من مكانه، ينتظره في البيت شكسبير لينهل من قصصه قبل النوم.

حيا سديم وقال

- "عمت مساءً سديم"

ثم ابتسم لرؤيته هو وراوند يتضاحكون على أمر ما سويًا، تذكر إليزابيث، فسارع بنفض هذه الذكري الأليمة عن مخيلته.

وقف أمام باب المكتبة عدة ثوان يملأ رئتيه من نسيم الليل العليل قبل أن يغادر قاصدًا بيته.

كعادته كان يسير في الشوارع وعقله يُعيد إليه كل ما حدث خلال اليوم مرورًا بالمرضى والمعلومات الجديدة التي استقاها من الكتب، توقف فجأة عند فكرة بعينها، العيون الجاحظة تلك التي كانت تراقبه!

أحس بالشعر في أسفل رأسه وهو ينتصب، شعور عام بعدم الراحة اجتاحه في هذه اللحظة، أحس بشعور غريب، ذلك الشعور الذي يعتريك عندما تجد أحدًا ما يطالعك بتركيز، التفت خلفه فوجد الطريق خاليًا إلا من بعض المارة الذين لا يعرفهم، استدار مكملًا طريقه قبل أن يعاوده هذا الإحساس بعنف هذه المرة، التفت خلفه بحدة ليجدها هناك تصوب نظرها ناحيته، اعتراه الخوف، اقترب من أحد الأزقة فدلفه على الفور يبغى تضليلها.

ظل يمشي قرابة الدقيقة وكل شيء من حوله طبيعي، قبل أن يهاجمه ذلك الإحساس البغيض من جديد، هذه المرة أحس وكأن هناك من يتنفس بجوار أذنه.

استدار حول نفسه باحثًا حتى كاد أن يسقط على الأرض، لم يجد شيء هذه المرة، عنف نفسه لدخوله هذا الزقاق المظلم من الأساس، زادت وتيرة

خطواته، فسمع بالمقابل وقع الخطوات قادمة من خلفه، توتر أكثر وزادت سرعته حتى قاربت العدو والخطوات من خلفه تزداد حدة ووضوحًا.

أبصر بيته في الأفق، فأطلق لساقيه العنان، ظل يعدو حتى وصل إلى البوابة الخارجية لبيته.

التفت، فوجد الشارع خاليا!

وقف يرثي نفسه لحماقته، لربما أصبح جبانًا مع التقدم في السن، وقف لدقيقة يستجمع أنفاسه ثم هم بالدخول..

في الداخل زفر بإرهاق من أثر أفعاله الحمقاء كما وصفها..

علق معطفه ثم توجه ناحية غرفته، خلع ملابسه وارتدي منامته ثم توجه إلى المطبخ وصب لنفسه كوبًا من الحليب الدافئ يُطمئن به نفسه، احتساه بترو مستمتعًا به قبل أن يغلق ضوء المطبخ ويغادره متوجهًا إلى غرفة المكتب خاصته.

كانت غرفة المكتب عبارة عن حجرة متوسطة الحجم دائرية الشكل زُينت جدرانها بمكتبة دائرية هي الأخرى، تكدست الكتب من مختلف الأنواع والأحجام في هذه الأرفف النظيفة المرتبة أبجديًا، وفي بعض الأركان عُلقت شهادات تقدير زين جبهتها اسم الطبيب واتسون، وفي المنتصف تمامًا وُضع مكتب أنيق من خشب الماهوجني وعن يساره كرسي مريح يشبه كراسي الاسترخاء الجلدية تلك عُلق فوقه مصباح صغير إذ يبدوُ أنه كان مخصصًا للقراءة.

اقترب واتسون من المكتبة قاصدًا ركنًا منها بعينه.

عُلقت أعلاهُ ورقة صغيرة كُتب عليها بخط منمق وليام شكسبير، جال ببصره في العناوين الموجودة قبل أن يتناول منها رواية تاجر البندقية ثم ذهب إلى حيث كرسيه المخصص للقراءة.

أضاء المصباح الصغير ثم جلس على الكرسي وزفر بارتياح، مرت عدة دقائق ودكتور واتسون منشغل بشكسبير وأبطاله، قبل أن يأتيه صوت طرقات خفيفة على الباب بالكاد لاحظها في البداية.

تجاهل ذلك الصوت فزادت الضربات عنفًا، انتفض جسده، لم يكن متعودًا على أن يزوره أحد في بيته، وضع الرواية على الكرسي وتوجه إلى الباب، لم يكد يصل إليه حتى زادت الضربات حدة حتى ظن أن الباب سيتحطم، ثم هدأت تمامًا، وقف مترددًا أمام الباب بينما أخذت الضربات لحنًا منتظمًا ثابت الإيقاع.

زفر بضيق وبتردد مد يده إلى الباب فاتحًا إياه فقط ليجد الفراغ يطالعه من الخارج!

زادت ضربات قلبه فجأة وظهر الذعر جليًا على قسمات وجهه، أغلق الباب بعنف ثم أغلقه بالمفتاح ليطمئن قلبه، عبثًا حاول أن يسترخي وهو عائد إلى غرفة المكتب، وقع نظره على كرسي القراءة خاصة فوجد المصباح فوقه مغلقًا.. ألم يتركه يعمل وذهب إلى الباب؟

أحس بأنفاس ساخنة على رقبته وقبل أن يقوم بأية حركة

استدار ليجدها هناك لا يفصلها عنه إلا بضع بوصات

تلك المرأة التي طالعته نهارًا، بيد أنها الآن أقرب إلى مسخ مشوه منها إلى النساء، لم تمهله الوقت الكافي ليقوم بأي رد فعل، أنشبت مخالبها في رقبته

وأحكمت قبضتها عليه قاصدة خنقه، حملته عن الأرض بيدها مظهرةً قوة غير آدمية بالمرة ثم أسقطته أرضًا وهو ينزف من رقبته بعنف إثر تعلق مخالبها به.

زحف على الأرض بوهن طالت يده مجلدًا ما حمله من مكانه وبآخر ما امتلك من قوة قذفه ناحيتها، تفادته برشاقة لا تتناسب مع شكلها العجوز، اقتربت منه، أمسكت رقبته بإحكام ثم أدارتها بعنف ناحتة الأخاديد الدموية فيها من مخالبها

وقفت هناك ترمق الجثة وتلعق مخالبها بتلذذ، توجهت ناحية الكرسي، تناولت روايته من مكانها، ثم باستهتار ألقتها بجواره ملطخة إياها بدمه قبل أن يدوي في المكان صدى ضحكتها الخليعة ثم اختفت فجأة!

*****

فيرجينا

كانت فيرجينا ستودارت فتاة متوسطة الجمال ذات شعر أشقر ووجه شاحب طويل، صغيرة في السن تدرس في آخر سنة من المرحلة العليا وهي مرحلة ما قبل الجامعة، جامحة بعض الشيء تميل إلى الأفعال الحمقاء غالبًا بسبب صغر سنها، لم يكن جمالها فقط هو المتوسط بل كل شيء في حياتها، متوسطة الطول، متوسطة الذكاء، حتى أنها الوسطى بين أخواتها.

وكما هي الحال ولدت لعائلة متوسطة الدخل نسبيًا، يعمل والدها معلمًا في المدرسة التي ترتادها، أما والدتها السيدة ديانا فهي ربة منزل لازالت تحتفظ بقدر كاف من الجمال رغم سنها الذي شارف على الخمسين، أخوها توم كان يدرس الهندسة بإحدي الجامعات المحلية، أما هاكر أخوها

الأصغر فما زال في المرحلة الابتدائية وكان هو مسؤوليتها كل يوم حيث تأخذه في طريقها لتوصله إلى مدرسته وتنتظره في وقت العودة ليعودا معًا إلى البيت، وكما هي حال الفتيات في مثل هذا العمر حيث يشغل الحب أغلب تفكيرهم الضحل، ربما بسبب تلك الأغاني التي يستمعون إليها أو الأفلام ربما.

ما يهم هنا أن فتاتنا قد رق قلبها وتعلم أن يدق لغيره مأخوذًا بالحب والمشاعر، ربما كانت كلماته الرقيقة ما جعلها تقع في حبه أو ربما رونقه الدائم، وصفاء عينيه وروحه على حد سواء، كان ذلك هو هاري شاعر البلدة، رأته أول مرة عندما كان في السنة الوسطى من المرحلة العليا وعلى الفور شعرت بذلك الانجذاب الأحمق تجاه شخص ما، ظلت قرابة الشهر تحضُر جل ندواته الشعرية التي كان يقيمها في المدرسة، حاولت أن تصارحه بحبها علها تنهل من ذلك الشعر العطر الذي يلقيه المناهل.

قبل أن تدرك الحقيقة المؤلمة أن هاري متيم بسوزان حسناء المدرسة العليا التي يتهافت الشباب عليها ملقين بعضهم البعض كالحمقى تحت قدميها.

ربما لو تطلع أحد إليها من خلف تلك المساحيق الملونة التي تنتشر على وجهها محولة إياها إلى مهرج من مهرجي السيرك لما حدث كل هذا، وكما اقتضت العادة عندما يحب شخص انطوائي مثل هاري فتاة تبحث عن الشهرة والاهتمام مثل سوزان يُكتب على هذه العلاقة الفشل في المهد وقد كان، عندما أخبرها هاري بمشاعره سخرت منه على مرأى ومسمع من نصف المدرسة، لقد ظل المسكين قرابة الشهرين حديثًا على كل لسان، كُسر قلبه وتحطم، بينما تحولت أشعاره تدريجيًا من شعر الحب والهيام إلى

شعر الفراق والألم يتبدى في كل كلمة من كلماته، ألا لعنة الله على الحب الذي يمزق نياط القلوب!

أما هي فلا تعلم يقينًا هل تحطم قلبها لصدمتها به؟

أم تحطم لقلبه هو؟

ربما هذا وذاك، كل ما تعرفه أنها أدمنته، تحفظ كل تحركاته، سكناته، حتى ضحكته قد احتفظت بصورة لها مطبوعة في أروقة عقلها تستحضرها كلما اشتدت وطأة الدنيا وأظلمت عليها، كل يوم تذهب إلى حيث يذهب، ملابسها باتت ألوانه المفضلة، حتى المكتبة التي كانت تظنها إحدى طرق التعذيب قديمًا باتت الآن محرابها المقدس الذي تلتقي فيه بحبيبها الذي لا يعلم أنها موجودة من الأساس!

كل يوم تخرج من المدرسة تمشي خلفه تقف في كل مكان يقف فيه، قبل أن يذهب إلى المكتبة فتذهب خلفه متظاهرة بالقراءة بينما هي تقرأه هو، تُمني نفسها كل يوم بنظرة شاردة أو انحناءة غير مقصودة تجاهها، أما هي فكانت بالنسبة له هواءً لا يراه البتة!

-"فيرجينا.. فيرجينا هيا يا صغيرتي استيقظي"

نادتها أمها قبل أن تخرج من الغرفة بسرعة لتعد لهم طعام الإفطار، فتحت عينيها بكسل ككل يوم، زفرت بضيق ثم اعتدلت جالسة على طرف السرير، مسحت عينها بظهر يدها محاولة دفع آثار النعاس بعيدًا عنها، فردت قامتها المتوسطة، وتمطعت في سأم قبل أن تتجه إلى الحمام، أمضت هناك ما يقرب النصف ساعة لتخرج منه بقميصها الأبيض القصير

كإحدى أميرات عالم ديزني، بالطبع إن كانت أميرات ديزني متوسطات الجمال.

بدلت ثيابها بتلك الثياب المخصصة للمدرسة مع مراعاة ألوان هاري المفضلة بالطبع.

وقفت أمام المرآة تصفف شعرها وتضع قليلًا من مساحيق الزينة والتي لا تحتاجها من الأساس فقد كان سر تميزها واستثنائها أنها عادية، عادية بطريقة محببة إلى النفس تبعث على الألفة، انتهت مما تفعل فخرجت متوجهة إلى أسفل لتلحق بطعام الفطور.

في الأسفل كانت كل عائلتها على المائدة، نظرت إليهم بتمعن ثم ابتسمت، إنها محظوظة لكونها فردًا من هذه العائلة هكذا همست إلى نفسها.

"صباح الخير" قالتها بصوت رقيق فتنبهوا لها، أجابوها الواحد تلو الآخر باسمين، جلست بجوار والدها، ناولتها أمها طبقًا به بعض البيض واللحم المقدد، الطعام المفضل لها.

شكرت أمها بامتنان قبل أن تشرع في تناول طعامها، كعادتها راقبت عائلتها الصغيرة الدافئة وهي تتناول الطعام، استمعت إلى حديث والدها وأخيها الكبير توم عن الدراسة وأحوالها، راقبت هاكر الصغير وهو يقتنص قطعة لحم مقدد من طبق توم المنهمك في الحديث مع والدها، انتهت من طعامها، سارعت بمساعدة والدتها في إزالة الأطباق ثم طبعت قبلة رقيقة على يدها وأخرى على يد والدها وثالثة على خد توم الأيسر، تناولت الصندوق الصغير الذي يحتوي غدائها وضعته في حقيبتها ثم حيتهم جميعًا، أمسكت بيد هاكر الصغير وهمت بالرحيل.

في الطريق توقفت عند بائع الحلوى القابع قبل مدرسة أخيها ببضع خطوات، اشترت له الشوكولا التي يحبها ولنفسها بعض قطع العِلَك التي تساعدها على التركيز على حد ما تقول.

قادته إلى حيث بوابة المدرسة، طبعت قبلة صغيرة على جبينه ثم لوحت له مودعة على وعد اللقاء في نهاية اليوم أو هكذا كانت تظن!

عبرت مدرسة أخيها فالتفتت داخلة أحد الشوارع التي توجد مدرستها في نهايته، بالقرب من أحد الأعمدة لمحت متشردة جالسة على الطريق فابتعدت فرجينا قليلًا عن الطريق حتى لا تمر بجانبها، هي لا تستحقرهم أو ما شابه ذلك بل تخاف منهم، حيث أنهم في بعض الأحيان قد يكونون خطرين إذ لا يمكنك أن تضمن ما يمكن أن يفعله الجوع والحرمان في شخص ما أبدًا.

كانت تلك المتشردة تفترش الأرض وبدا من بعيد أنها تغط في نوم عميق، مرت فرجينا بعيدًا عنها قليلًا بخطوات سريعة، عبرتها أخيرًا، فأتاها صوتها من خلفها "يا صغيرتي الجميلة لقد أسقطت شيئا ما!"

التفتت لتجد تلك العجوز كما بدا، تقف خلفها ممسكة في يدها قلمها زهري اللون! ألم تكن نائمة منذ لحظة؟

كيف لحقت بها بتلك السرعة؟

بل كيف سقط قلمها الذي تضعه في داخل الحقيبة؟

مدت يدها بتردد في البداية متناولة القلم من تلك العجوز التي زادت ابتسامتها، ما أقلقها لم يكن العجوز بل عينيها الجاحظتين كعيون الحرباء، كما تراءى لمخيلتها!!

وضعت القلم في حقيبتها ثم سارعت بالمغادرة بخطوات سريعة.

****

في المدرسة

كان يومها روتينيًا ككل يوم حضرت الكثير والكثير من الحصص التي لم تفهم منها كثيرًا كالعادة وتسائلت في قرارة نفسها، ما الجدوي منها من الأساس؟

ككل صباح كان عقلها منشغلًا بهاري الذي سوف تراه في تمام الواحدة، دائمًا ما تترك آخر حصتين في اليوم الدراسي لتذهب إلى المكتبة لتُرضي حبها وقلبها لتعود إلى أخيها الصغير الذي ينتهي في الرابعة والنصف تجرجر أذيال الخيبة، غير أنه وفي هذا الصباح لم يكن هاري وحده كل ما جال في خاطرها.

ظلت نظرات تلك العجوز جاحظة العينين تلاحقها طوال اليوم، لم تستطع أن تمحي تلك النظرة من ذاكرتها، ارتجفت لتلك الفكرة، حاولت التركيز مع مدرس الكيمياء عله يشغلها عن هذه الأفكار غير المحببة بالمرة، دق جرس المدرسة معلنًا وقت استراحة الطعام.

إنها الواحدة

-"حان وقت الرحيل"

حدثت نفسها، تناولت حقيبتها ثم حيت صديقاتها وهمت بالانصراف.

لم يكن لفرجينا غير صديقة واحدة كان اسمها مارلين وكانت تسكن بعد بيتها بعدة بنايات وكانت حافظة أسرارها وأكثر من تحبه بعد أمها، خرجت من باب المدرسة متوجهة إلى المكتبة، حيث كان هاري يذهب كل

يوم من الواحدة والنصف وحتى أجل غير معلوم، لم تذهب إلى المكتبة منذ يومين حيث كانت والدتها مريضة وكان لابد من أن تجالسها.

مرت من إحدى الشوارع الجانبية المفضية إلى المكتبة فلمحت تحت أحد الأعمدة متشردة ترتدي ملابس رثه تفترش الأرض نائمة، همست لنفسها وهي تمر بجانبها لقد كثر المتشردون في هذه المدينة.

لاحت لها المكتبة في الأفق، انحناءة أخرى وتصل، عليها فقط أن تنعطف يسارًا وبعد هذا الشارع ستجد المكتبة أمامها.

عبرت الشارع بأمان، كادت أن تصل إلى المكتبة قبل أن تنتبه لتلك المتشردة التي تفترش الأرض بثياب رثة.

هل يأتي المتشردون بملابسهم من نفس المكان؟

فكرت في ذلك قبل أن تجتاح موجة من القشعريرة جسدها

نظرت خلفها بذعر لتطالعها تلك العيون الجاحظة كإجابة على سؤالها! عبرت الطريق عدوًا قبل أن تقف أمام باب المكتبة، تلفتت خلفها لتجد الشارع خاليًا تمامًا "إنني أتخيل لابد أنه الإرهاق فحسب" تكلمت بصوت عالٍ علها تطمئن نفسها قليلًا، مسحت عرقها بمنديل كان في يدها ودفعت الباب داخلة إلى المكتبة.

فور أن دخلت سقطت عيناها على سديم الواقف هناك بطلته البهية يطالع راوند في صمت ويبتسم لها بين الحين والآخر كعادته الأثيرة، أشاحت ببصرها عنه وهمست لنفسها

- "يومًا ما سوف ينظر إلي هاري نظرة مثل تلك"

مسحت بيدها بعض العبرات التي فرت من عينيها قبل أن تجلس على طاولتها منتظرة هاري.

مرت ساعة وهي جالسة هناك تنتظره، بدأ القلق عليه ينمو في داخلها، لقد كان هاري شخصية منظمة جدًا لم يسبق أن تأخر على شيء ما.

عبثًا حاولت أن تطالع الكتاب الذي بين يديها، حاولت إنهاء فروضها المدرسية فلم تستطع التركيز، نظرت لساعتها فوجدتها الرابعة، عزمت أمرها عليها الانصراف لتلحق بهاكر.

تنهدت بحزن وهمت بالانصراف، لمعت فكرة ما في رأسها، بدل أن تتوجه إلى الباب توجهت إلى سديم ثم وبنبرة يشوبها الخجل والتردد سألته "عفوًا هل رأيت هاري في الأنحاء؟"

ابتسم لها سديم محاولًا أن يقلل توترها، أطرق رأسه للخلف مفكرًا قبل أن يجيبها

-"لا..لا أعتقد أنى رأيته" همت بالانصراف قبل أن يسترسل

- "في الواقع إنه لم يأت منذ يومين لربما كان مريضًا أو شيء من هذا القبيل"

هزت رأسها متفهمة قبل أن تشكره وتنصرف، في الخارج غلبت خيالاتها أفكارها هل يكون قد حدث له مكروه؟

هل هو بخير؟ يا إلهي كيف يمكنني أن أطمئن عليه؟

استدارت داخلة أحد الشوارع، أفاقت من شرودها فجأة، إنها هي، إنها هي من جديد ذات المتشردة تجلس هناك في وسط الشارع تحت أحد الأعمدة.

نال منها الخوف ما نال، التفتت قاصدة الخروج من ذلك الشارع، مشت خطوتين في الاتجاه المعاكس فقط لتجدها هناك وقد انتقلت بطريقة ما أمامها مفترشة الأرض ببرائتها المصطنعة.

أحست فرجينا بالارتباك والخوف من تلك العجوز التي يبدو أنها تتبعها كما أن نظراتها تبدو غير بشرية بالمرة!

انتقت فرجينا زقاقًا عشوائيًا ودخلت إليه مهرولة، رغم أنها الرابعة عصرًا إلا أن الزقاق كان غارقًا في الظلام.

ارتعدت فرائسها أكثر فزادت سرعة عدوها قبل أن تمسك يد مخلبية بقدمها فجأة مسقطة إياها أرضًا دامية القدمين، صرخت بعنف والألم يعصف بها، طالعت تلك العجوز وهي تتذوق الدم من على أصابعها المخلبية

قبل أن تزداد ابتسامتها كاشفة عن أنياب حادة، حاولت فرجينا التحامل على نفسها والنهوض أو حتى الصراخ فلم تقو على شيء، أما تلك العجوز فاقتربت منها بسرعة وخفة، أمسكت رقبتها ثم أدارتها بعنف.

سُمع صوت تحطم عنق الفتاة بوضوح، قبل أن تغرس أنيابها برقبتها ممتصة دمائها، بعد أن انتهت رفعت رأسها عن الفتاة وبضحكتها الدامية تلك صاحت

- "كم أعشق دماء الشباب"

قبل أن تختفي تاركة فرجينا جثة هامدة.

(١٥)

البداية من جديد

عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد
الحضارة المصرية القديمة مدينة واست

في وسط الصحراء وقفت هناك متألقة كقطعة خشب تطفو على صفحة الماء، تلقي الشمس بأنوارها عليها فتبدو كجوهرة للناظرين، تلك المدينة العتيدة ذات السور شاهق الارتفاع، يناهز الجبال طولًا هو يكاد من كثرة ذهبه أن يكون سراجًا منيرًا، تقع على الضفة الشرقية للنيل العظيم الذي يعد شريان الحياة الأساسي في مصر القديمة.

بينما يستقر هناك في الأفق بهو الإله أزوريس إله العالم السفلي محتلًا الضفة الغربية.

كانت المدينة من الداخل آية من آيات الإبهار، عروس تليق بأعرق حضارات العالم القديم، انتشرت هنا وهناك بيوت سُكانها المتكونة في الغالب من الطوب اللبن، متوسطة الحال هي تلك البيوت، لم تكن مبهرجة أو ملونة بيد أن تنظيمها الدقيق وشدة أحكامها كان يبعث في النفس الإبهار، كلما تعمقت في المدينة أكثر ذهلك التباين المعماري.

كانت المدينة تحتوي مجمعًا كبيرًا للمعابد وقد شيدت تلك الأخيرة من الأحجار الثقيلة، حتى تكون شيء يرضي غرور الإله، في المجمل كانت

مدينة طيبة عبارة عن مركز للعبادة أو مجمع أديان ضخم، لذا كانت محط اهتمام الملوك، في قلب المدينة وقف هناك بشموخ يكاد يصل إلى عنان السماء -أهم معابد المدينة- معبد الإله آمون رع، وفي البقعة الأخيرة من المدينة يقبع هناك بكل العظمة الممكنة قصر الفرعون بتماثيله الحجرية الضخمة وبواباته الفارهة.

يطل مباشرة على بهو الإله الواقع في الضفة الأخرى تسهيلًا لنقل الفرعون من حياته الدنيا إلى أبدية الآخرة عند وفاته، وتذكيرًا له في نفس الوقت بتلك الحياة التي يجب أن يُعد لها العدة جيدًا.

كان المصريون القدماء يعيشون في هذه المدينة حياة هادئة وإن كانت روتينية بعض الشيء، كانوا يقطنون في بيوتهم ويُقسم العمل عليهم من زراعة إلى صناعة إلى الخدمة في القصر الملكي إلى التجنيد في الجيش بالإضافة إلى الذهاب للمعابد للتقرب من الآلهة، وقد كان المصريون متدينون بطبعهم.

كان تيار جارف من الناس يندفع في تلك الساعة من ساعات الظهيرة إلى قلب المدينة وملامح الفرحة بادية عليهم، إذ يبدو أن اليوم كان عيدًا دينيًا من أعيادهم.

اقترب المُلبون جميعًا في حشود منظمة من بوابة معبد الإله آمون رع المفتوحة على مصرعيها وهم يُهللون بفرح، رجال ونساء جميعهم شاركوا في موجة الاحتفالات الحارقة تلك، ما إن يدخل الرجل منهم أو المرأة منهم بهو المعبد الفسيح حتي يخر ساجدًا على الأرض بتضرع ووقار لذلك

التمثال الذهبي المنمق الذي يدل على جودة صانعه وكأنه يتبرك بالإله المزعوم هذا.

ثم يعتدل واقفًا يجول في المعبد مُغدقًا العطايا على كهنة المعبد وخدامه، ومنهم ميسور الحال الذي يذبح القربان تحت أقدام ذلك النصب، إرضاءً لغروره عله يجيب دعواه.

كان كبير الكهنة، وكما هو حال الكهنة دائمًا في تلك العصور السحيقة رجلًا أبيض البشرة حليق الرأس ممتلئ الجسد حتى أن مجرد فكرة أن يحاول السجود كانت تصيبه بالإرهاق، على غرار ذلك كان متحدثًا لبقًا يعرف كيف يدير دفة الحديث لصالحه ويقنع من حوله بقناعاته الخاصة مستخدمًا كلامه المعسول، ولم تكن تلك جل مهارات كاهننا العزيز!

اقترب منه أحد المريدين لا يلوى على شيء إلا الوصول إليه، شق الزحام بصعوبة بالغة قبل أن يصل إلى مراده أخيرًا "سيدي الكاهن الأكبر.. سيدي الكاهن الأكبر" ناداه بكل ما يملك من طاقة.

بصعوبة ومن بين تلك الأصوات المتداخلة سمع الكاهن ندائه أخيرًا، اقترب الكاهن من حافة المنصة العالية التي يقف عليها بجوار باقي الكهنة، ربت على رأسه بحنان مُصطنع قبل أن يصيح فيه

- "أوه عزيزي نبسن، كيف حالك وحال زوجتك الجميلة بنرت؟"

تنهد نبسن بأسى

-"إنها ليست بخير.. ليست بخير على الإطلاق"

ثم أكمل

- "أنا لا أفهم ما يحدث يا سيدي لقد قدمت القرابين للإله كما أخبرتني، ساعدت في تنظيف المعبد بل ووضعت بعض المال الذي كنت أدخره في خزانة حضرتكم، وعلى العكس تمامًا لم تتحسن حال بنرت البتة بل إنها كانت أفضل حالًا قبل أن آتي بهذه الأفعال، كل ما في الأمر أني لا أفهم يا سيدي، لا أفهم لماذا يحدث هذا؟"

نظر إليه الكاهن نظرة متفحصة، وكأنه يسبر أغواره قبل أن يهمس له

-"سيحتاج الأمر إلى المزيد من المعاينة والتدقيق" وقد طُبع على محياه ابتسامة خبيثة.

-"لم أفهم يا سيدي"

صاح بها بنسن وعلامات عدم الفهم تبدو جلية علي وجهه.

أجابه الكاهن باقتضاب

- "سوف أنتظرك في منزلي أنت وبنرت الليلة وبمشيئة آمون العظيم سوف ينقشع ما بها من هم، على الرغم من أن مشيئته قد تكون مكلفة!"

بعد الانتهاء من مراحل الاحتفال تلك تم حمل التمثال الإلهي من الواجهة إلى جوف المعبد، اطمأن الكاهن الأكبر على التمثال ثم انحني أمامه بوقار قبل أن يغادر.

خرج الكاهن ليجد الشمس قد قاربت على المغيب، نزل السلالم من تلك المنصة بتأفف واضح ليجد في نهايته كرسيه الذي لا يقل في الضخامة عنه مثبت بمجموعة من جزوع الأشجار السميكة وعلى كل جانب منه يوجد زوج من العبيد سمر البشرة عراة الجزع مفتولي العضلات لتحمل ثقل هذه القاطرة البشرية الموشكة علي اعتلاء أكتافهم، جلس الكاهن على

كرسيه ثم زفر بارتياح قبل أن يشير إلى العبيد بالتحرك قاصدين بيته، تلفت الكاهن حوله فوجد أن لا أحد يطالعه فأخرج من جيبه خاتمًا ذهبيًا مزخرفا ببعض الرسومات الغريبة التي بدت إلى الطلاسم أقرب وعلى قمة الخاتم استقرت زمردة حمراء اللون كبيرة مسح عليها ثم ارتدي الخاتم، همس بصوت خفيض بالكاد خرج من فمه

-"أقسمت عليكم يا خدامي الأقوياء باسم الإله ست إلهنا الأوحد أن تذيقوا بنرت الويلات، صبوا جام غضبكم عليها، اجعلوها وزوجها بلا حول ولا قوة، أحضروهم إلي أحضروهم إلي"

ارتعش جسده السمين قبل أن يفتح عينيه ليطالع أحد الضباط وهو يمر بجواره.

داخل منزله الأنيق الذي لا يبعد عن المعبد كثيرًا والمصنوع هو الآخر من الأحجار الثقيلة، منزل يليق بعلية القوم هو

بعد الغروب بوقت قصير

وقف الكاهن بعباءته الحريرية المنبسطة على جسده، يستقبل بنسن وزوجته الباكية.

أجلسهم إلى إحدى المقاعد المتراصة وجلس مقابلًا لهم وهو يفرك في زمردة خاتمه باستمرار، نادى علي أحد الخدام ليجلب لهم بعض المشروبات قبل أن يبدأ في طقوسه الملعونة، اقترب بجسده الممتلئ منهم حتى صار ملاصقًا لتلك الفتاة البائسة التي بدت كالخرقة البالية بجواره، وضع يده الخبيثة عليها فاقشعر جسدها ثم أخذ ينشد بتناغم أنشودة ما لم

يفهم بنسن منها شيئًا إلا كلمة ست التي طفقت تتكرر كثيرًا، اعتقد في بادئ الأمر أنها تعويذة ما للحماية.

أما بنرت فقد تعلقت نظراتها الشاخصة بالفراغ وكأنها تطالع شخصًا ما هناك، ثم فجأة سُمع صوت جلبة في الخارج قبل أن يدلف قائد الحرس الملكي إلى البيت محطمًا بابه ومعه جنوده الذين انتشروا في البيت مطوقين الكاهن، احتقن وجه الكاهن حتى بدا أنه على وشك الاختناق وهو يصيح في القائد

-"كيف تجرؤ على تدنيس بيت خادم الإله؟ سوف أجعل الفرعون يزين بوابة القصر برأسك!!"

اتسعت ابتسامة القائد قبل أن يصيح به بدوره

-"لم لا تخبره الآن فنحن ذاهبون إليه على كل حال" ثم أشار للجنود بعينيه فاقتربوا من الكاهن المذهول مقيدين إياه.

لو كان الأمر بيد قائد حرس القصر الملكي إيستن لكان شهر بهذا المحتال في شوارع المدينة وضواحيها.

ولكن نزولًا عند أوامر الفرعون قاده من الأزقة المظلمة متوجهين إلى القصر، سار كبير الكهنة بينهم مطأطئ الرأس لا يقوى على الكلام، بينما فرت منه دمعة غادرة أو اثنتين في بعض الأحيان، كان الجنود يسيرون حوله في دائرة مطوقين إياه بتلك الأصفاد التي آلمت معصمه وأصابته بحكة فظيعة ومن خلفه اقتاد الجنود ضيوفه بنسن وزوجته بنرت لعرض الأخيرة على طبيب القصر بأمر من القائد إيستن.

لم يتوجه هذا الجمع إلى بوابة القصر الأمامية، الأمر الذي جعل الكاهن نفسه يتنفس الصعداء قليلًا.

اقتاده الجنود إلى بوابة جانبية صغيرة في إحدى فجوات السور العظيم المحيط بالقصر، أحنى رأسه السمين حتى يتمكن من العبور، فور أن دخل وجد نفسه في حديقة القصر الخلفية المليئة بالجنود إذ يبدو أنه كان موعد تغيير نوبات الحراسة، تكاثرت الهمهمات من حوله والقيل والقال على ألسنة الجنود عن السبب الذي يدفع قائد حرس الفرعون أن يأتي بكبير الكهنة مكبلًا بالأصفاد بهذه الطريقة المشينة؟

تأخر عن ركابهم ثلاثة حراس اقتادوا بنسن وزوجته إلى طبيب القصر بينما بقي القائد ومعه ستة آخرون في صُحبة الكاهن داخلين وإياه إلى بهو القصر.

وقفوا أمام باب غرفة العرش فطلب القائد إيتسن من الحاجب أن يعلن خبر وصولهم لجلالة الفرعون، انحنى له الحاجب ثم شرع يلبي النداء وبصوت جهوري صاح

-"قائد الحرس إيستن ومرافقوه يطلبون إذن سيادتكم في الدخول"

أومأ الفرعون برأسه من على عرشه المستقر على ربوة مرتفعة من الأرض الحجرية باهرة الجمال والغضب يلتمع في عينيه، سمح الحاجب للقائد ومن معه بالدخول ثم انحنى وغادر مغلقًا الباب خلفه.

وكان لرؤيا الكاهن الأعظم لآمون مقيدًا هكذا كاللصوص والمجرمين أثر الصدمة على نفوس مستشاري الملك ووزرائه.

وصل إلى الفرعون بعض الهمسات والصيحات المعترضة فعاجلها صائحًا بصوت رجولي حازم لا يقبل المناقشة أو الاعتراض "صمتاً" فسارع الكل بالهدوء خوفًا من بطش الفرعون الذي يبدو في أوج غضبه، قاد القائد إيستن كبير الكهنة بنفسه حتى أوقفه بين يدي الفرعون، شعر الكاهن بعيني الفرعون المثبتتين عليه تحرقانه فلم يقو على رفع بصره عن الأرض، كسر الفرعون حاجز الصمت هذا بأن وقف من على عرشه صائحًا بغضب جم

-"أيها المحتال الحقير لقد دنست معبد إلهنا العظيم بوجودك فيه!!"

كرد فعل لقيام الفرعون من مقامه خر الجمع راكعًا من حوله، أما الكاهن فأحنى جزعه بقدر ما تسمح له بدانته، ثم استرسل الفرعون بذات النبرة "تمارس السحر بين جنبات المعبد مستعينًا بست ذاته" بدا الرعب على وجوه الحضور من ذكر الاسم المتعلق بإله الفوضى والشر، والفرعون يُكمل "تفرق بين الأزواج بسحرك الآثم فقط لتجعلهم أكثر انقيادًا لمطالبك الجشعة كالعنكبوت الذي يوقع الذبابة في شبكته مغريًا إياها بالطعام فقط ليلتهمها، ألا يكفيك ما التهمته في بطنك الكبير هذا طوال تلك السنوات؟"

اشتد احمرار وجه الكاهن وبرزت عروقه حتى بدا وكأنه على وشك الانفجار من أثر الإهانة، نظر له الفرعون باستحقار وهو يقول " لو لم تكن كاهنًا بحق آمون لكان رأسك الآن يزين أسوار قصري" وأخيرًا وبصوت مرتعش واهن نطق الكاهن

-"لا..لا يمكنك أن تفعل هذا بخادم الإله وصوته"

ضحك الفرعون حتى قهقه ثم صاح فيه "أيها الوغد المحتال إنني أنا الإله!

التجسد الحي لآمون رع العظيم..

الواضع لشرائعه والمطبق لعدله وقد أعفيتك من التكلم بصوتي..

فلدي ما يكفي من الأفواه على كل حال

-" -في إشارة منه لكهنة المعبد الآخرين- "والآن اركع أمام سيدك الأوحد وإلهك الوحيد!!"

بمشقة بالغة استطاع الكاهن أن يثني قدمه راكعًا أمام الفرعون فقط ليخر على الأرض ساقطًا، ارتج جسده والغرفة معًا وكأنما هناك جبل انهار محطمًا معه آخر أسوار كبريائه، نظر إليه الفرعون بتشف قبل أن يصيح فيمن حوله "أخرجوا هذه الحثالة من هنا" ثم هم بالانصراف، اقترب منه جنديان ساعداه على الوقوف ثم اقتاداه بعنف بالغ إلى الباب الذي دخل منه ملقين إياه على الأرض خارج القصر، استند على سور القصر بصعوبة بالغة حتى استطاع أن يعتدل على قدميه، ثم رحل متوجهًا إلى بيته الذي لم يكن قريبًا من القصر هذه المرة، رجع إلى بيته متقطع الأنفاس، مغبون، محتقن الوجه، ليجده غارقًا في الظلام خاليًا من كل الخدم إلا خادم عجوز ظل معه قرابة العشر سنوات وقد رق له حاله فأبى أن يفارق سيده، كاد أن ينهار على الأرض أمام بيته لولا أن أعانه الخادم بمشقة بالغة، قاده إلى فراشه وسقاه شربة ماء، وأخيرًا تحدث الكاهن "أحضر سُنحم إلى هنا" فارق الخادم سيده المُلقى على الفراش ليفتش عن ابنه سُنحم.

بعد قرابة الساعة عاد الخادم ومعه سُنحم متقطعي الأنفاس إذ يبدو أنهم جاؤوا عدوًا.

اقترب سُنحم من سرير والده وجثا على ركبتيه ممسكًا بيد والده ثم سأله بلهجة يشوبها الرق والشفقة والغضب على حد سواء

- "من الذي فعل بك هذا يا أبي؟"

سأله والانتقام يلتمع في عينيه، نظر إليه الكاهن ثم شرع يحكي له ما حدث من البداية حتى أحضره الخادم إلى هنا، استشاط سُنحم غضبًا ونار الحقد والانتقام تتأجج في داخله ذاك الشعور الذي أراد الكاهن أن يغرسه في ولده قبل أن يغادر

- "بني" نادى عليه بصوت وهن، تنبه سُنحم لهمسات والده فأقبل عليه

-"يجب أن تنتقم منهم، يجب أن تذيقهم الويلات!"

همس بها بوهن متزايد.

-"لكن كيف هذا يا أبي؟ أخبرني كيف أفعلها ولن أتوان عنها؟"

سأل والده مستفسرًا، أجابه الأخير قائلًا وهو يشير إلى صندوق كبير في نهاية الغرفة

-"بالطريقة التي اكتشفوا بها أمري، بالسحر"

قبل أن تسقط يده الممدودة بجواره معلنة وفاة صاحبها.

ظل قرابة الثلاث ساعات جالسًا بجوار جثة والده ينتحب ويبكي حاله وحال أبيه، قبل أن يقوم وعيناه مُحمرة من أثر البكاء متوجهًا إلى ذلك الصندوق الذي أشار إليه والده قبل أن يموت، صاح لنفسه

- "سوف أجعل أعينهم تقطر بدل هذه الدموع دمًا"

اقترب من ذلك الصندوق الكبير ذا اللون الأسود نافضًا عنه أطنانًا من التراب المتراكم فوقه من قلة الفتح، فتحه فأصدر صريراً عاليًا، نظر إلى داخله والفضول يحرق روحه ليجده مليء بمئات البرديات والألواح الحجرية المنقوش عليها ولم تكن هذه الكتابات كلها هنا إلا لغرض واحد، تعليم صاحبها السحر!

أغلق الصندوق وعينيه تلتمع حماسًا للفكرة ولم يلحظ ذلك الخيال الأسود الباهت الذي اقترن به ومن هنا كانت البداية!

*****

بعد خمس سنوات

خمس سنوات عجاف قضاها متنقلًا في الصحراء والجبال ينهل من ذلك الميراث الآثم الذي تركه له والده وحقده على ذلك الفرعون وحرسه امتد ليشمل تلك المملكة التي هو مسؤول عنها والتي كان سُنحم يظنها يومًا ما وطنًا له.

أخيرًا عاد إلى طيبة بعد طول انتظار ليحقق انتقامه الدموي الذي طال كثيرًا.

ظل بيت والده كما هو بأمر منه إذ كان يرسل المال بين الحين والآخر للخدم حتى يعتنوا بالبيت في غيابه.

دخل المدينة في وقت الظهيرة، وعلى حين غفلة من حراسها انسل داخلًا إلى أرض الخزائن، حيث تُخزن الغلال والأسماك المجففة وغيرها من المؤن.

نظر إليها نظرة فاحصة ثم أغلق عينيه مترنمًا بتعويذة ما ثم وفي غضون لحظات اشتعلت النار في المخازن من حيث لا يدري أحد، موجة من الذعر اجتاحت الحرس وهم يحاولون عبثًا إخماد النار ذاتية الاشتعال التي نبتت من العدم، كان يهم بالانصراف قبل أن تقع عينيه على أكثر الذين تبغضهم نفسه، القائد إيستن، لم يضيع الوقت وقام بأمر أحد خدامه بأن ينقض عليه، نفذ ذلك الأخير طلب سيده، مرت لحظات قبل أن يلتمع ضوء أبيض خفيض بجانب القائد إيستن، لم يلحظه إلا سُنحم نفسه، نادى على خادمه فلم يتلق ردًا فغادر وهو يصيح

-"اللعنة على العرافات وسحرهم".

في طريق العودة إلى منزل والده أصابه صداع شديد قبل أن يسمع صوت ما يدوي في جنبات عقله صوت مألوف ظل يرافقه طوال السنوات الماضية يوجهه إلى ما يجب أن يقرأ وأي الطلاسم يجب أن يحفظ

- "أنا لدي الحل"

همس بها الصوت بلهجة جافة خالية من أي تعبير ثم أكمل وكأنه يقرأ أفكار سُنحم

-"عليك استحضار ست، وبه وحده ستحيق اللعنة بأعدائك"

كرد فعل لذلك الصوت أعادته ذاكرته لذلك الجزء من البرديات التي تحدثت عن الإله ست ملك البعد الفوضوي-البعد السفلي- على حد زعم صائغ تلك العبارات بل لقد تجاوز الأمر مجرد الإخبار عنه ليتناول استحضاره أيضًا، وعن قناعة وكأن الفكرة وليدة خياله هو ابتسم بشر متوجهًا إلى داره لا ينوي على شيء إلا استحضار ست، أو هكذا ظن!

في ردهات القصر الفسيحة هرولت تلك العرافة البابلية الحسناء بثوبها المخملي الأبيض قاصدة غرفة الفرعون، بالكاد استطاع الحراس الإمساك بها قبل أن تقتحم الغرفة، سمع الفرعون جلبة في الخارج فخرج على الفور يصيح في الجنود بغضب

- "ماذا هناك؟"

ليجدها هناك متقطعة الأنفاس، اقترب منها ثم سألها بقلق

- "ماذا هناك يا نفرو؟"

أجابته

-"سيدي ليس هناك وقت لقد عاد ابن ذلك الكاهن المأفون".

-"وما المهم فيه إلى تلك الدرجة؟" سألها الفرعون وعلامات عدم الفهم تتبدى على وجهه.

-فجاء ردها "ليس هو المهم بل ما ينوي فعله!!"

ظهرت الدهشة على الفرعون وهو يسألها مرة أخرى بضيق صبر

-"ماذا ينوي أن يفعل ذلك الملعون؟"

أجابته والفزع يلتمع في عينيها

- "سوف يفتح أبواب الجحيم!"

وقف سُنحم في غرفته الخاصة في بيت والده يطالع تلك البردية التي كانت في جوف الصندوق، البردية التي لم يتطلع إليها في الماضي كثيرًا بسبب توجيهات ذلك الصوت الخفي، ولعجزه عن فهمها من الأساس أما الآن وبعد كل تلك السنوات من التعلم بات مُطلعًا على خباياها كاطلاعه على

راحة يده، رق قديم هي أقرب منها إلى البردية صُنعت من جلود الحيوانات المجففة كتب عليها بمداد أحمر يشبه الدم!

زُينت جبهتها بعبارة واحدة بارزة عن البقية (ملك التنانين)!

تناول من أدوات والده القديمة قطعة من الحجر الجيري الأبيض اللون الذي يصلح للكتابة على الأسطح الخشنة، ثم شرع يرسم على الأرض دائرة خماسية الشكل كبيرة وعلى أطراف تلك الدائرة غرس في الأرض خمس مشاعل غُمسوا جميعًا في الزيت وتم غرسهم في الأرض مطفئين، تأمل صنعته ثم زفر بإعجاب، قبل أن يحتل وسط الدائرة، أغلق عينيه لبرهة ثم فتحها وتنهد بادئًا في تلاوة تعاويذ ما بلغة هو نفسه لا يدري كيف أو متي أجادها وكأن أحدا غيره ينطق على لسانه!

استدار يناظر كل مشعل قد غرسه في الأرض على حدة وهو يتمتم بتلك العبارات مجهولة الهوية، مرت دقيقة فاشتعل المشعل الأول من تلقاء نفسه ووجد نفسه يتحرك لا إراديًا تجاه المشعل الثاني مكررًا نفس النمط بعينيه فقط ليشتعل المشعل في النهاية وهكذا دواليك حتى وصل بناظريه إلى المشغل الخامس ارتفع صوت إنشاده أكثر والعرق ينهمر منه بغزارة.

سُمع صوت شيء ما في الخارج ثم صوت باب يتحطم، زادت سرعة إنشاده أكثر وجسده ينتفض بعنف قبل أن يقتحم القائد إيستن باب الحجرة داخلًا إليها ومن خلفه جنوده في نفس اللحظة التي اشتعل فيها المشعل الخامس من تلقاء نفسه.

هبط سُنحم على ركبتيه والإنهاك يفتك به، أحس الجميع بتزايد درجات الحرارة والثقل الذي طغى على الصدور قبل أن يصيح سُنحم في القائد

بابتسامة مرتعشة "لقد تأخرت كثيرًا إنه هنا الآن" ثم تفتت جسده بشكل كامل متحولًا إلى ذرات من رماد محترق.

وقف القائد إيستن فاغرًا فاهه وهو يشاهد ذلك الضباب الأسود الغريب المنبعث من وسط الدائرة المرسومة على الأرض، بدا الضباب وكأنه يحيط بشيء ما أو شخص ما قبل أن ينقشع كاشفًا عن الهول ذاته

وقف هناك بكل شموخ يرتدي درعًا حربيًا كاملًا فضي اللون، زينت صدره تجاويف تشبه الرؤوس، رؤوس كائنات لا يدري أحد بها إلا خالقها ووضع في مكان الأعين أحجارًا براقة كأنها أعين حقيقية.

على كتفيه كان يوجد وجهان آخران أكبر حجمًا من البقية خرج من فم كل واحد منهما ثعبانًا يتلوي بعنف.

ارتدي فوق شعره الفضي المائل إلى البياض المنسدل حتى خصره خوذة بها أربعة قرون غليظة، حرك يده اليمنى مزيلًا قناعًا من فوق وجهه ليتبدى وجه طولي شاحب اللون وعينان حمراوان مشقوقة كأعين القطط.

نظر إلى إيستن الذي حاول الهرب فقط ليجده أمامه في لمح البصر أمسك برأسه بيد وباليد الأخرى أمسك خصره ثم قام بجذبه في كلا الاتجاهين بعنف فاصلًا رأسه عن جسده محولًا المكان من حوله إلى بركة من الدم، وقف ذلك الوافد الجديد ينظر إلى ما صنعت يداه بفخر قبل أن يصيح

"ليبدأ عهد الدم الآن.. ليبدأ عهد أزيموديوس!"

سرت حالة من الهلع والهرج والمرج في المدينة، الناس يهربون إلى حيث لا يدرون قبل أن يسقطوا صرعى إما من أثر التدافع أو من أثر أزيموديوس ذاك، كان طائرًا في الأفق ما إن يقترب من شخص ما حتى ينشب مخالب

درعه فيه فتنفصل عنه هالة بيضاء شفافة قبل أن يسقط على الأرض جثة هامدة وكأنه يحصد أرواحهم!

وفي كل مرة يحدث هذا يزداد درعه تألقًا وكأنه يشحن قواه بتلك الأرواح البائسة أو ما شابه ذلك.

لم يجد سكان طيبة ملاذًا يلوذون به إلا القصر الملكي فتوجهوا إلى هناك.

قابلهم الفرعون شخصيًا داخل أسوار القصر محاولًا طمأنتهم قبل أن تقترب منه نفرو هامسة له "سيدي الفرعون علينا الذهاب إلى بهو الإله إنه المكان الوحيد الآمن الآن" وعلى الفور تحرك الفرعون ومن معه باتجاه القوارب قاصدين بهو الإله أزوريس.

مرت فترة من الهدوء فظن الجمع القابع في داخل بهو الإله أن ذلك الخطر قد زال عنهم غير عالمين أنه الهدوء الذي يسبق العاصفة، ارتج المكان فجأة واهتز الباب بعنف، تعلقت أنظار الجميع بالباب بينما تمتم الفرعون بصلاة ما وهو يتطلع لتمثال النتر أنبو الموضوع هناك في الأفق.

ارتج المكان مرة أخرى بعنفٍ قبل أن يسقط الباب الفضي العملاق للبهو وهو يتآكل تدريجيًا قبل أن يتحول إلى تراب فور أن أحاط به ذلك الدخان الأسود الغريب!

دخل أزيموديوس إلى الداخل وهو يطفو عن الأرض ومن يده يخرج ذلك الدخان الأسود الذي يحيل كل ما يقع عليه إلى تراب وكأنما يتقدم به في الزمن! أخذ هذا الضباب يحيط ببعض الناس الذين كلما اصطدم به أحدهم خلف مكانه كتلة من العظام المهترئة التي لا تلبث حتى تفتت على الفور إلى ذرات ترابية وفي المقابل تزداد ابتسامة أزيموديوس الشيطانية

اتساعًا، كاد الضباب أن يجهز عليهم في اللحظة التي اقترب فيها أزيموديوس من تمثال أنوبيس، تألق في يمناه صولجان-أقرب للرمح- ذهبي استقرعلى قمته مفتاح الحياة!، كما نُقش عليه مئات الرسومات الغريبة وفجأة خفت ذلك الدخان بوتيرة متزايدة حتى اختفى تمامًا، حينها كان أزيموديوس قد وصل إلى التمثال فحط على الأرض عاجزًا عن الطفو، راقب بعينين فزعتين ذلك التمثال الضخم وهو يهتز مُسقطًا قشرته الذهبية وكأن الحياه تدب فيه، لم يستغرق الأمر كثيرًا حتى قفز أنوبيس من مكانه مواجهًا أزيموديوس الذي شلته الصدمة مزمجرًا بوجه ابن آوى خاصته بعنف، وفي يمناه التمع ذاك الصولجان الذهبي أكثر، عبثًا حاول أزيموديوس استحضار ضبابه من جديد قبل أن يصيح فيه أنوبيس "لا ترهق نفسك أيها الشيطان الرجيم.. لا سحر يعمل في حضرة سيد السحر ذاته" حاول أزيموديوس الهروب قبل أن تفاجئه انقضاضة أنوبيس المباغتة الذي أمسكه من رقبته وحمله عن الأرض.

زمجر أنوبيس بصوت عال ارتجت لصداه الجدران فخر الجميع حوله ساجدًا له، ثم أخذ ينشد تعويذة ما فاهتز البهو أكثر وأكثر ثم برز من الأرض لوح حجري عملاق، اقترب أنوبيس من اللوح وأزيموديوس يتلوى في قبضته محاولا التملص، قبل أن يلمس أزيموديوس اللوح التقطت عيناه تلك الوافدة الغريبة الواقفة وحدها في إحدى الأركان وكذلك أنوبيس، التمعت على جبهة أزيموديوس دائرة تحوي بداخلها نجمة خماسية بالكاد لُوحظت ثم حدثها قائلا

"كلانا مرتبطان في رحلة ستغير مسار الطبيعة في حد ذاتها" قبل أن يلامس جسده اللوح الذي امتصه تمامًا وكأنه نقش قد نُحت عليه

أنشد أنوبيس تعويذة أخرى فظهرت سلاسل من الفراغ أحاطت بذلك اللوح.

ثم أخرج أنوبيس من حزامه ثلاثة ألواح صغيرة نُقش على كل منهم اسم ما، علق كل واحد من تلك الألواح على سلسلة قبل أن تلتف تلك السلاسل على بعضها مكونة عقدة، اقترب أنوبيس من تلك السيدة جميلة المحيا التي باتت الآن مرئية للعيان.

همس لها أنوبيس "أيتها الأميرة رقية بنت شمهورش أحتاج إلى دمائك" طواعية ناولت يدها لأنوبيس الذي أخرج خنجرًا صغيرًا من نطاقه وقام بإمراره على يدها ثم اقترب من اللوح وقام بنثر الدم على السلاسل محولًا إياها إلى لون الدم ذاته " أبلغي سلامي إلى زوجك الأمير طارش" صاح بها ثم عاد إلى مكانه في شموخ ثم تحول تدريجيًا إلى ذلك التمثال الذهبي كما كان في نفس اللحظة التي اهتزت فيها الأرض مبتلعة اللوح الحجري بسلاسله تلك.

اقتربت العرافة البابلية لترمق اللوح وهو يغوص في الأرض بفضول ثم قالت "إني لأعلم أنك عائد أيها اللعين وحين تفعل لتجدن مني هدية تسرك" ثم قامت بخلع قلادتها ملقية إياها في جوف الأرض التي عادت كما كانت، ولم تلحظ ذلك الخيال الأسود الذي انطلق مغادرًا المكان!

(١٦)

الآن تفهم

قبل ١٠٠٠ عام

في منطقة ما نائية في صحراء اليمن تحديدًا بالقرب من وادي برهوت

وقف صديقنا الغريب ذاته مسربلًا بالسواد كعادته، إذ يبدو أنه لم يرتدِ في حياته أي لون غيره، كان يقف أمام خيمة وقفت بالقرب من بعض الكثبان الرملية التي تحجب عنها العواصف الرملية قليلًا، لم يتغير كثيرًا غير أنه بدا أكثر شبابًا الآن، أمامه انهمك خادمان في إشعال النار إذ قاربت الشمس على المغيب، صاح بصوت عال "مازر" فتقدم أحدهما إليه فصاح فيه مرة أخرى بلهجة آمرة

- "اذهب وحاول أن تصطاد شيئًا من الدواب نقتات به"

انحني مازر أمامه ثم هم بالانصراف بعد أن تناول قوسه وجعبة السهام خاصته من على الأرض.

أما الآخر وكان اسمه صلهوب فقد استطاع أخيرًا إشعال النار في بعض قطع الخشب التي وجدوها سابقًا

-"أخبرني عندما يعود مازر"

كذا تحدث ذلك الغريب ثم دخل إلى الخيمة، بعد نصف ساعة كانت الشمس قد انحسرت وتقلد القمر مقاليد حكم السماء الآن.

من بعيد لمح صلهوب مازر وهو يعدو في اتجاهه وكأنه كان يهرب من شيء ما.

وقف مازر متقطع الأنفاس ثم بصوت حاول أن يجعله متماسكًا سأل

-"أين..أين السيد؟"

خرج ذلك الغريب خاصتنا من الخيمة على أثر هذه الجلبة ومحاولات صلهوب المستميتة في أن يهدئ من روع مازر، اقترب منهما ثم وضع يده على كتف مازر المرتجفة سائلًا إياه

-"مازر.. مازر ماذا بك؟ ولم ترتجف كورق الشجر في الخريف هكذا؟"

لم يستطع مازر أن يتحمل أكثر وخر منهارًا على ركبتيه، شجعه الغريب بنظراته المطمئنة فالتقط أنفاسه وبدأ في رواية قصته.

-"لقد ذهبت بناءً على تعليماتك سيدي لأرى هل يمكن أن أجد شيئًا أصطاده، تعمقت في المسير أكثر حتى دنوت من وادي برهوت، كدت أن أعود لولا أني سمعت صوتًا ما، كان صوتًا مألوفًا يناديني لم.. لم أستطع مقاومته وهكذا وجدت نفسي أسير حتى قاربت على الوصول إلى مقدمة بئر برهوت وقبل أن أصل إليه تعثرت بشيء مدفون في الرمل، فور أن سقطت على وجهي اختفي الصوت تمامًا، ذهبت لأرى الشيء الذي تعثرت به فوجدت هذا اللوح الحجري وكان نصفه مدفونًا في الرمال فظللت أحفر حوله حتى أخرجته من مكانه" ثم قام بإخراج لوح حجري متوسط الحجم من رحاله نُقش عليه من جانب واحد الكثير من الرموز

وعلى الجانب الآخر نُقشت نجمة خماسية مقسمة إلى ثلاثة أثلاث بالسوية، وضعه أمام الغريب الذي أشار له برأسه لكي يكمل، أكمل مازر

-"فور أن أخرجت اللوح من مكانه رأيت دخانًا أسودًا كثيفاً يخرج من داخل البئر ذاته وفي ثوان كان قد أحاط بي مقيدًا قدماي وكأنه حبل من نوع ما وفي نهاية ذلك الضباب لمحت كيانًا أسودًا، أشد سوادًا من ظلمة الليل نفسه يسحبني باتجاهه، ظللت أولول وأصيح فبدا أنه لا يسمعني، أقسمت عليه بالملوك العلويين فلم يجب، وكذلك الحال مع ملوك الأيام، وفي وسط تلك الموجة التي انتابتني تلفظت باسمك عله يرحمني وقد حدث، توقف السحب وبدا وكأن ذلك الشيء ينظر إلي باهتمام، قبل أن يقول بصوت حاد رفيع يشبه صفير الريح اذهب وبلغ سيدك السلام، وهكذا يا سيدي أتيت إليك مهرولًا ولا أدري لم أحضرت معي هذا اللوح!"

ربت الغريب على كتفه مُطمئنًا مرة أخرى ثم تناول ذاك اللوح الحجري باهتمام ودلف إلى الخيمة.

كان اللوح الحجري عبارة عن حجر أملس مقسم إلى ثلاثة أجزاء، كان كل جزء منه يحتوي على مجموعة من الرموز والنقوش المتباينة عن الجزء الذي يليه.

تأمل الغريب تلك الكتابات فوجد الجزء الأول وقد كُتب بالسومرية أما الثاني فقد كُتب بالهيروغليفية، أما الثالث فقد كُتب بلغة لم يتبين كنهها على الرغم من أن ذلك الغريب يبدو عليه الثقافة والاطلاع مما بدا محيرًا له.

أمسك بذلك اللوح باهتمام بالغ وأخذ يترجم تلك الرموز.

كان الجزء السومري منها يتكلم عن واحد من ملوك الجان الأوائل الذين تم نفيهم من الأرض، لما نزلت الملائكة لطرد الجان من الأرض والتي عاثوا فيها فسادًا.

أُختير منهم سبعة كانوا أكثر دموية من غيرهم وتم نفيهم إلى بعد خاص بهم وعند هذا الجزء انتهت الكتابة السومرية التي لم يُذكر فيها اسم ذلك الملك المزعوم عند ذلك الحد فتعجب الغريب أكثر وأكمل قراءة الجزء الثاني

الجزء الهيروغليفي من ذلك الحجر قد تحدث عن يوم عصيب أتى على مملكة كيمت -مصر- العظيمة حيث تنزلت اللعنات عليهم عندما حل ست بذاته الشيطانية على الأرض ممتصًا أرواحهم، محولًا أجسادهم وما صنعت أيديهم إلى تراب، كاد الخطر أن يدمر المملكة لولا أن لجأ الناجون مستدرجين ست إلى بهو عدوه الأزلي وهناك استطاع سيد السحرة والسحر أنوبيس بمباركة من الإله أزوريس ذاته أن يمتص ذلك الكيان خاتمًا إياه معيدًا له إلى الجحيم حيث ينتمي.

وعند هذا الحد انتهت الكتابة الهيروغليفية.

أحس الغريب بالحيرة حيث بدا وكأن هذه الأجزاء مختلفة عن بعضها من حقب زمنية مختلفة ربما، أو وكأن أحدًا قام بلصق هذه القطع مع بعضها مكونًا هذا اللوح.

نظر إلى الجزء الثالث الذي كان عاجزًا عن قراءته فوجد رموزه تتداخل مع بعضها وهالة من السواد تحيط بذلك الحجر، وأخيرًا استطاع تمييز جملة واحدة، في بئر برهوت تكمن الإجابة، قبل أن يعود اللوح إلى سيرته

الأولى، وكأن شيئًا ما كان يوجه أفكاره في هذه اللحظة لم ينشغل إلا بتلك البئر القديمة ذائعة السيط ثم عزم قراره، تناول معه شمعة سوداء كبيرة ثم خرج من الخيمة إلى ظلام الليل، أيقظ مرافقيه ثم انطلق في الصحراء لا يلوي على شيء إلا الذهاب إلى بئر برهوت!

لم يستغرق الأمر كثيرًا حتى وجدوا أنفسهم على مشارف البئر والتي لم يكونوا على بُعد مسافة كبيرة منها من الأساس.

كانت فوهة البئر أقرب للبركان منها إلى البئر بطولها الذي يصل إلى مائة قدم كما أحس بحرارة عالية قادمة من تحتهم تزداد تدريجيًا كلما اقتربوا من الفوهة وكأنهم يقفون فوق بركان نشط.

لم يكدوا يصلون إلى البئر حتى أحاط بهم ذلك الضباب الأسود الكثيف الذي خرج من البئر ذاته، دارت بهم الدنيا وتشوشت الموجودات من حولهم ثم كان الظلام

فتح عينيه بوهن من أثر ذلك الصداع الذي أصاب خلايا مخه بالعطب، فلم يطالع إلا الظلام من حوله، نادى على خادميه مازر وصلهوب.

فجاءته إجابتهما بصوت مرتعش، إذ يبدو أنهم كانوا بجواره أيًا كان مكانهم.

على الفور تذكر الشمعة التي أحضرها معه فأخرجها وفور أن أضاءها تبدى له ذلك المكان يبدو أنهم قد سقطوا أو نقلوا داخل كهف عظيم مظلم ذو تعاريج وتقاطيع كثيرة رفع رأسه إلى أعلى فقدر عمق ذلك الكهف بستمائة قدم، تحرك هو ومرافقيه لتتبدى لهم في الجدران تلك التجاويف والتي لم تكن في الواقع إلا زنازن أحاطت بها القضبان.

نظر لها صلهوب برهة قبل أن يصيح متسائلًا

-"هل نحن في سجن ما؟"

أجابه ذلك الغريب بنبرة تشوبها الرهبة "بل أسوأ إننا في بئر برهوت ذاته" ثم تقدمهم داخلًا ممرا مظلمًا أفضى في النهاية إلى حجرة متسعة مصطحة الجوانب، استشعر ذلك الغريب كيان ما فوقف متحفزًا

وقفت شمعة وحيدة يتراقص لهبها تُلقي بضوئها على هذه الوجوه الثلاثة المترقبة مبددة ظلام هذا المكان المقفر الخالي من كل شيء إلا الظلام

كان التوتر والخوف يعصف بالحاضرين

وفجأة قطع السكون صوت مدو يشبه الانفجار!!

ثم ظهرت بقعة من السواد الذي طغي على ظلام الموجودات مغلفة المكان بالكآبة والصدور بالثقل.

كانت كتلة سوداء عظيمة بلا ملامح تقريبًا وما بدا أنه عينان مرتكزتان على الشخص الواقف في المنتصف بادي الأهمية والخوف، تكلم ذلك الكيان فخرج صوته متحشرجًا كأنه ناجم عن احتكاك القطع المعدنية ببعضها

-" تكلم وإلا حل عليك الهلاك لإزعاجك خادم السيد الأمين "

وبصوت مرتعش تكلم ذلك الغريب قائلًا

-"أريد أن أفهم"

بينما تراجع كل من مازر وصلهوب خطوة إلى الوراء من تلك النبرة العدائية التي تحدث بها ذلك الكيان.

بدا وكأن ذلك الكيان يبتسم طبعًا إن كان الظلام يبتسم قبل أن يجيبه

- "إنك امرؤ ملعون، لقد كانت المعرفة دومًا هي لعنتك"

توترت ملامح ذلك الغريب بينما أردف ذلك الكيان الأسود

-"والآن تفهم"

أضاءت عدة مشاعل المكان فسقط ضوؤها على كل الموجودات إلا ذلك الكيان الذي أخذ يتكلم الآن بصوت جهوري

-"يعرفه الكثيرون باسم ست إله الشر عند المصريين أما البابليون فيعرفونه باسم أزيموديوس وآخرون بملك التنانين وكلهم مصيبون كل هذه أسماء اكتسبها مع مرور الزمن، لقد كان من أوائل الجان المخلوقين وسرعان ما ظهر له اختلافه وتميزه عن الباقين لذا فقد عين نفسه ملكًا عليهم وبالطبع عارضه بعض الحمقي فكانت الحرب، تلك الحرب لم تقتصر على الجان فقط بل امتدت لتشمل كل المخلوقات حتى أرسل الله ملائكته التي قضت على المتنازعين من الجانبين على حد سواء"

-"وقد تم طردنا منذ هذه اللحظة لنعمر الأماكن النائية المهجورة وتُركت الأرض للإنسان أما سيدي فقد تم نفيه وستة من ملوك القبائل الآخرين إلى ذلك البعد المسمى بالبعد الفوضوي-البعد السفلي- كان سيدي جبارًا ظمئًا للدماء ولم يتورع عن حصد الآلاف من الأرواح دون أن يطرف له جفن".

-" ثم كانت البداية التي انتظرها قرونًا عندما استعان به أحد الحمقى من المصريين عن طريق لفافة من رق جلدي دسستها له بين أشياء والده

وطفقت أعلمه حتى استعملته في النهاية كقربان لمجئ سيدي، وعندها كان الظهور الأول لسيدي على الأرض بعد أن نفاه الملائكة.

-كادت المدينة أن تقع في قبضته لولا أن ظهر ذلك المسخ الفرعوني الذي يُدعى أنوبيس" همس الغريب قائلًا "ملك السحرة وإله الموت عند المصريين"

هز له ذلك الكيان رأسه موافقًا ثم أكمل

- "وبصولجان سحري من نوع ما أبطل كل قوى سيدي المستمدة من السحر الشيطاني بل حتى قواه الطبيعية كجان اختفت أمام ذلك المخلوق، والآن الجزء الأهم" تحفز الغريب بينما أردف الكائن "قام أنوبيس بختم سيدي في لوح حجري بتعويذة لم أرها في حياتي إلا في تلك اللحظة ولأنه كان داهية قام بسلسلة ذلك اللوح وعلى كل سلسلة وضع حارسًا، حارسًا هو نفسه لا يدري بدوره الذي أشركه فيه أنوبيس قهرًا، قام بوضع أسماء ثلاثة مردة أشداء يجب أن يتم هزيمة كل واحد منهم على حدة وبترتيب معين سواء أكانت الهزيمة بالقتل أو النفي من البعد الأرضي، لقد استغرق الأمر مني ألف عام حتى استطعت أن أفهم تلك الألواح التي وضعها أنوبيس وطُبعت في ذاكرتي في المرة الوحيدة التي رأيتهم فيها".

ثم أخرج له لوحًا حجريًا صغيرًا نُقش عليه ثلاثة أسماء بالسومرية على الفور ميزهم ذلك الغريب

عاينه

ذات المحاسن..

ظام...

فكر ذلك الغريب لحظة ثم سأل ذلك الكيان

-"هل تُرجمت هذه الأسماء من الهيروغليفية إلى السومرية صحيح؟"

أجابه الكائن

- "صحيح".

-"إذا إن ترتيبك خاطئ" ق

الها الغريب فسأله الكائن مستفسرًا

استرسل الغريب

-"إن الهيروغليفية تُقرأ من اليسار إلى اليمين بينما السومرية العكس وبالتالي يصبح الترتيب السومري الذي بحوزتك، عاينه..ذات المحاسن..ظام

-هكذا بالهيروغليفية..

-ظام..ذات المحاسن..عاينه

-تمامًا كما وضعه أنوبيس".

لو كان للظلام فم فهو يبتسم الآن ابتسامة مقيتة

- "والآن إلى أين يقودنا هذا" تساءل ذلك الكائن ثم أجاب نفسه "أوه..إليك أنت" أصيب ذلك الغريب بالذهول عندما نظر إليه الكائن ثم قال بنبره متشككة "إلي أنا؟"

أجابه الكائن

-"نعم إليك أنت لقد جمعت من المعرفة ما يكفي لجعلك قادرًا على تحريره وليس ذلك فحسب باستطاعتك الوصول إلى المفتاح في حد ذاته" سكت الغريب قليلًا يفكر ثم أكمل "وبم أستفيد؟"

بدا وكأن ابتسامة ذلك الكائن عديم الملامح قد اتسعت عن آخرها قبل أن يجيبه

- "كل شيء، أليس ذلك كل ما تريده حقًا؟ بقوى أزيموديوس سوف تحكم الأبعاد كلها كما تمنيت دومًا أيها المعلم!"

نظر إليه المعلم وقد اتسعت ابتسامته هو الآخر ثم أردف بلهجة لا تقل شيطانية عن الكائن الواقف أمامه

-"لقد قبلت".

والآن الجزء الأخير من القصة

- "لقد كان لسيدي باع في السحر كما حال أنوبيس وعلى الفور عندما علم أن أمره مقضي لا محالة أمام قوى السحر الفرعوني وقعت عينيه على شيء قادر على تحريره، عندما وصل سيدي إلى هذا العالم صادف ذلك وجود أميرة من العفاريت بعينها ثم صاح رقية بنت شمهورش زوجة الأمير طارش بن كنعان أو لنقل الملك طارش الآن، تتبعته حتى دخلت ورائه بهو الإله ذاك حينها وفي حركة بائسة وبآخر قوى يملكها سيدي قام سيدي بقرن حياته وسجنه بذلك المخلوق".

-"طبعًا لم يفت الأمر على ذلك المأفون أنوبيس الذي لاحظ ذلك بدوره وقام بنثر دمها على السلاسل كختم نهائي لها" أجابه المعلم "لكن أخشى أن حرية سيدك قد انتهت إذ ماتت الملكة وهي تلد ابنها الوحيد".

اتسعت ابتسامة الكائن الآن حتى بانت أنيابه الكريهة

-"وهذا ما ظنه أنوبيس تمامًا.. لم أقل لك أن لتلك البائسة علاقة" أجابه الكائن ثم أكمل

-" لقد كان المعني ابنها التي كانت حاملًا فيه في تلك اللحظة وهي نفسها لم تكن تدري، به وحده يمكن تحرير سيد الظلام".

تمتم المعلم

-"أوار!"

-"نعم هو"

أجابه الكائن ثم أكمل

- "عبثًا وضع أنوبيس دمها على السلاسل لم يكن دمها هو المطلوب بل دمه هو".

="والآن أربعة هم، لابد من جمعهم ومعًا سوف يحررون السيد العظيم"

قال المعلم

- "أولئك اللعناء لقد أحكموا غلق البوابة"

-"لا سحر يضاهي سحر هؤلاء الملاعين لكن لدينا فرصة".

أجابه الكائن قبل أن يُزيد

- "يجب أن تبدأ به.. معه وحده يكمن السر".

أجابه المعلم متسائلاً

- "أتقصد المفتاح؟"

قال الكائن

- "بل إنه هو المفتاح.. وجوده في هذا العالم سوف يفتح البوابة ومنها سيتحرر السيد أزيموديوس من جديد".

*****

يُقال أن في الجحيم تنانين تحرق أرواح المذنبين بلهبها

وأزيموديوس هو سيدها!

*****

منزل سديم

استيقظ سديم منهكًا فقد أمضى الليلة الماضية بجوار يولاند ولم ينم إلا ساعتين، اعتدل على فراشة ثم وقف في تكاسل، قام بتغيير ملابسه ثم توجه إلى دورة المياه ليغسل وجهه.

توجه إلى الأسفل وقام بتحضير طعام الإفطار له ولكل من يولاند ومايكل، حمل بعض منه ثم توجه إلى غرفة يولاند، كان ذلك الأخير مستيقظًا

- "صباح الخير سديم"

قالها وهو يبتسم له ابتسامة ممتنة، قابله سديم بابتسامة مماثلة وهو يضع الطعام بجواره

-"صباح الخير يولاند، إنك تبدو أفضل كثيرًا اليوم؟"

سأله سديم وهو يربت على كتفه

- "نعم إنني أفضل حالًا الآن" أجابه يولاند

نهض سديم من جواره ثم صاح

- "سوف أذهب لأوقظ مايكل يجب ألا نتأخر عن العمل"

ثم استدار مغادرًا الغرفة ذاهبًا إلى غرفة مايكل.

بعد الانتهاء من طعام الفطور، كان سديم ومايكل في طريقهما إلى المكتبة

جلس سديم في مكانه يتثاءب في كسل وهو يرمق أمامه تلك الطاولات الفارغة من أصحابها، كان اليوم هادئا وكاد أن ينام مكانه لولا أنه طالعها هناك، الشمس التي تضيء حياته الرتيبة، راوند، أمضى سديم ليلته بجانب يولاند يطالع كتب الشعر والروايات العاطفية يبحث عن تعابير جديدة ربما، ليصف بها ذلك الجمال الإلهي.

لقد كانت راوند بالنسبة إليه الشيء الوحيد الحقيقي بالنسبة إلى شخص يعاني من الهلوسة، لقد كان في وجهها نور وسلام، نور أضاء عليه حياته وبدد الظلمة والوحشة منها، حفظ ثمانية قصائد غزلية لوليام بليك وخمس مقالات حب لشكسبير وبعض الخواطر وأجمل عبارات العشق فقط لكي يغازلها بهم حين يراها ولما رآها تقف أمامه هربت القصائد والمقالات وتشقلبت كلماته فقال لها "تبدين ضحكية حين تُجملين" انتابتها موجة من الضحك على تلك الجملة واحمرت وجنتاها خجلًا، شاركها سديم الضحك وهو يحس بالبلاهة

سألته راوند باهتمام غريب

-"لماذا المكتبة فارغة اليوم؟"

أدار سديم رأسه متفحصًا المكان حوله متطلعًا إلى المكتبة الخاوية على عروشها ثم أجابها

-"إنه غريب حقًا لم يأت هاري منذ ثلاثة أيام والدكتور واطسون كذلك وحتى تلك الفتاة التي لا أذكر اسمها أتت تسأل عن هاري ولم تعد!"

رفعت كفها قليلا علامة التعجب ثم أردفت بطريقتها الصبيانة المحببة إليه

-"ربما كانوا مرضى".

أجابها سديم

-"ربما"

وإن لم يرتح لذلك الأمر كثيرًا

-"حسنا سوف أرحل الآن فلدي الكثير من التقارير لأكتبها وداعًا"

صاحت راوند ثم استدارت لتغادر، استوقفها سديم بأن نادى عليها

-"راوند"

التفتت إليه فسألها

- "هل يمكنني أن أمر عليكِ غدًا لنتمشى قليلًا "

ابتسمت له ابتسامة ولهانة ثم قالت

- "بالطبع سيكون هذا من دواعي سروري"

ثم لوحت له مغادرة المكان، ولم تنتبه في الخارج إلى تلك العيون الجاحظة التي تطالعها باهتمام!

كان سديم يعلم يقينًا أن غدًا هو عيد ميلادها، أراد أن يجعله يومًا مميزًا لها، في طريق عودته مر على إحدى المتاجر التي تبيع الحُلي الفضية، انتقي من ذلك المتجر سوارًا فضيًا على شكل قلب أو دائرة ربما له جناحان فكر وهو يضعه بعلبته الأنيقة في جيبه، كذلك قلبها مثل ذلك السوار، قلب ملاك.

في البيت اطمأن على يولاند الذي تحسنت حالته كثيرًا ثم أستأذن من صديقيه صاعدًا إلى غرفته كي ينام فغدًا يوم حافل.

دخلت راوند الي البيت وقلبها يخفق فرحاً بات لديها شيء تتطلع إليه غداً...سوف يأتي إليها سديم.

كان البيت غارقًا في الظلام، استدارت لتغلق الباب بالمفتاح كعادتها التي اكتسبتها منذ ما حدث معها آخر مرة.

أحست برجفة في جسدها وقد انتصب شعر رأسها، تلفتت بسرعة لتجد تلك العجوز الشمطاء واقفة هناك وخلفها أربعة مسوخ لا يمكن وصف هؤلاء بانتمائهم إلى النساء تحت أي ظرف كان.

لم تمهل عاينه راوند وقتًا طويلًا للتفكير، اقتربت منها بسرعة محكمة الإطباق على رقبتها، لم يستغرق الأمر كثيرًا حتى أغشي على راوند تحت وطأة قبضتها الهائلة تركتها تسقط على الأرض ثم وقفت متناولة القلادة التي تشبه مفتاح الحياة في يدها نازعة إياها عن رقبتها ثم قامت بسحقها بقبضة يدها محيلة إياها إلى رفات ثم صاحت بغل

-"حان وقت اللعب يا صغيرة"

استيقظ سديم في الرابعة عصرًا وكان قد أخذ اليوم إجازة من العمل وعلى كل حال لم يأتِ أحد إلى المكتبة منذ ثلاثة أيام إلا أقل القليل، تحمم على الفور ثم ارتدى ملابسه، بذلة سوداء أنيقة وقميص أبيض اشتراهم خصيصًا من أجل اليوم، كان يبدوا فاتنًا بحق، صفف شعره بترو ثم تناول ذلك السوار من على الكومود الموجود بجانب السرير، نزل إلى حجرة

المعيشة حيث يولاند الذي بات قادرًا على الحركة الآن ومايكل اللذين طالعاه بإعجاب واضح قبل أن يبتسما له.

-"هل آتي لك ببعض الطعام؟" سأله مايكل..

-"لا.. سوف أتناول الطعام أنا وراوند في إحدى مطاعم المدينة لقد حجزت به مسبقًا " أجابه سديم فابتسم له مايكل

اطمأن سديم على صحة يولاند ثم هم بالرحيل باتجاه بيت راوند

بعد نصف ساعة كان قد مر فيها على إحدى متاجر الزهور ليشتري لها باقة من الورود الحمراء المفضلة لديها، كان يقف أمام باب بيتها ينادي عليها حتى تخرج فلم تجب، ظل ربع ساعة كاملة عند الباب يدق عليه تارة وينادي تارة أخرى فلم تجب.

أحس سديم بإحساس غريب بعدم الراحة ثم حدث نفسه علها في العمل سوف أذهب إلى هناك.

وكانت الطامة الكبري، أخبره السيد ألبرت أنها لم تأت إلى عمل اليوم من الأساس، خرج من عنده والقلق ينهش خلايا عقله، كشف عن يديه فتألقت تلك الرموز المرسومة عليها إلا رسم مفتاح الحياة!

سرت القشعريرة في جسده فقال

- "الربط" فلم يحدث شيء.

أسقط سديم باقة الزهور من يده ثم توجه مسرعًا إلى بيته، فتح الباب وهو يصيح مايكل "هناك أمر ما قد حدث علينا الذهاب إلى بيت راوند الآن".

كان يولاند يريد أن يذهب معهم لولا إصرار سديم عليه لجعله يمكث في البيت، تناول سديم ومايكل بعض الأسلحة ثم هموا بالرحيل.

عند بيت راوند حاول سديم ومايكل اقتحام البيت ولكن عبثًا وكأن هناك قوة ما تحول دون ذلك غمغم "مايكل أعتقد أن هناك أحد لا يريدنا أن ندخل" تنهد سديم وأخذ يتلو التعويذة تلو الأخرى إلا أن تلك التعاويذ كلها قد كُللت بالفشل كاد أن ييأس في اللحظة التي لمح فيها سواره فلمعت فكرة ما في رأسه، يستطيع السوار أن ينقله آنيًا إلى البيت أو أي مكان آخر شرط أن يتخيل وجهته، ضغط سديم على زر ما في السوار ثم أغلق عينيه يحاول استرجاع تفاصيل بيت راوند من الداخل.

مرت لحظات قبل أن يبدأ ضباب أبيض اللون يحيط به

-"ضع يدك على يدي يا مايكل"

صاح بها سديم قبل أن يحيط بهم ذلك الضباب ناقلًا إياهم إلى داخل البيت، كان البيت غارقًا في الظلام عندما انتقل إليه مايكل وسديم، أحس سديم ببرودة غير طبيعية في المكان ثم مر شيء ما حاد على يده فتأوه بصوت عال، ومن أمامهم مباشرة دوت ضحكات خليعة، قبل أن تضئ الأنوار من حولهم، وجدها سديم هناك بهيئة المسخ تلك وبعينيها الجاحظة تراقبهم بينما من مخالبها كان الدم يقطر في قنينة أمسكت بها، دم سديم نفسه!

بينما أحاط بها أربعة مسوخ آخرين لا يقلون عنها جمالًا على مقياس المسوخ بالطبع!

وفي منتصف تلك المسوخ البشعة كانت راوند مقيدة بكرسي وعلامات المخالب منتشرة على رقبتها ويديها.

لاحظت عاينه نظرات سديم المتعلقة براوند فقالت وهي تناول الزجاجة التي تحتوي دمه إلى إحدى وصيفاتها التي اختفت من المكان "لقد كنت ألعب معها قليلًا فكما ترى أنا أحب أن أرى الناس يدنون من الموت قبل أن أتركهم" ثم أتبعت كلامها بضحكة ماجنة.

-"سوف تدفعين ثمن هذا"

قالها سديم ثم تحولت عينيه إلى اللون الأبيض وارتفع جسده عن الأرض قليلًا وراوند تراقب المشهد بعيون ذاهلة.

-"والآن يا وصيفاتي الأعزاء أحضروا لي رؤوسهم"

صاحت عاينه فهجمت وصيفتان على سديم والثالثة على مايكل، لم يضيع سديم الوقت حيث نبت في يده خنجر فضي قام بالقاءه بمهارة شديدة فاستقر في رأس الوصيفة الأولى التي ارتمت أرضًا بعنف جثة هامدة لا حياة فيها أما الأخرى فكانت قد وصلت إلى سديم الآن، قفزت على ظهره متعلقة برقبته تحاول خنقه أو إخضاعه.

انحنى بجزعه إلى الأمام قليلا ثم وضع يده على أسفل رأسها وقام بجذبها مسقطًا إياها من على ظهره بعنف.

فقط لتستقر أمامه، وعلى الفور قام بغرس خنجر آخر في قلبها.

أما مايكل فقام بتفادي انقضاضة من ذلك المسخ ثم قام بقطع رأسها بضربة من سيف فضي كبير كان يحمله

تعلقت الأنظار بعاينه التي كانت تقف الآن خلف راوند ممسكة برقبتها كورقة ضغط على سديم.

حاول مايكل أن يفاجئها لكن سديم أشار إليه كي يتوقف.

ضحكت هي بصوت عال قبل أن تصيح بهم

-"لا تراهن على سرعة الخناقة أيها العفريت البائس".

التمعت القلادة المعلقة على صدرسديم بوهج ذهبي خافت بالكاد لُوحظ بينما دوى صوت مألوف في رأسه قائلًا

-"تميمة الأرواح!"

نفض سديم آثارالدهشة عنه ثم نظر إليها والغضب يلتمع في عينيه ثم صاح بها

-"حسنًا لم تتركِ لي خيارًا آخر"

أخذ سديم يترنم بسرعة كبيرة بالكاد فهم أحد حرفًا مما يقول

-"أيتها الأرواح المصانة، الرفيعة الشأن التي أعلى شأنك العليم وجعلك ذا رتبة وشأنًا، أما سمعتي العهد الذي أخذه سليمان الحكيم على كل عفريت وجان، مصيص لوهيص كهثيمعا ياروح يا مصانة تاجكِ الذي توجكِ إياه سليمان، انطلقي بسرعة وبيان يا هقملسيلخ ياشقتد حل الرهان وقدم البرهان ياروح يامصانة "

وكأن انفجارًا قد حدث بالمكان لمع البيت كله بنور يُعمي الأبصار وعندما انقشع أخيرًا استقر على عنق سديم تميمة سوداء تعتليها زمردة حمراء كبيرة الحجم، ارتفع سديم عن الأرض أكثر وزاد بياض عينيه مع استقرار تلك

التميمة فوق صدره حتى بدا - سديم- وكأنه يؤين الهواء الذي يدور حوله، ألقت عاينه راوند على الأرض بعنف قبل أن تشهق بذعر وهي تنظر بغل ناحية سديم، ثم خرت على الأرض وكأن هناك قوة خفية تدفعها لذلك وهي تصيح

-" تميمة الأسياد! تميمه الأرواح!"

وفي هذه اللحظة سمع سديم في رأسه صوتًا حادًا يقول له

- "سل تعطى أيها العفريت"

-"دمروها"

نطقها سديم بسرعة وكأنه يتخلص من ثقل على كاهله، وحدث كل شيء بعدها سريعًا، برزت من العدم قبضة يد عملاقة سوداء اللون، أمسكت بجسد عاينه بعنف ثم أطبقت عليها وحينها اشتعل جسدها كليًا، امتلأ البيت بصوت صراخها الشنيع ورائحة احتراق جسدها قبل أن تتحول إلى رفات محترق، وكما برزت اليد من العدم اختفت إليه ثانية ساحبة معها الأجساد المُلقاة على الأرض وكذلك التميمة، هبط سديم إلى الأرض وعادت عينه إلى لونها الطبيعي.

لاحظ مايكل العلامات التي تكونت في البقعة التي سقط عليها رفات عاينه، فأشار إلى سديم الذي قدم إليه مفكرته ليقوم بنقل تلك العلامات فيها

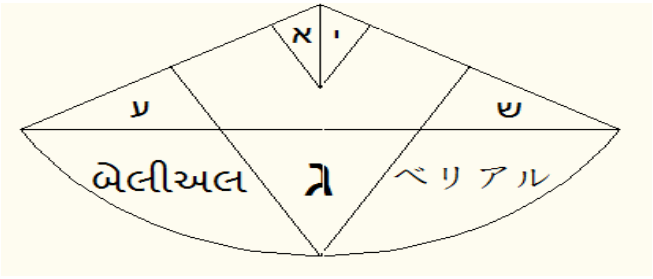

اقترب سديم من راوند التي ألصقت ظهرها في الحائط بعنف وقد أجفلت لرؤيته، حاول أن يكلمها فصاحت به " ابتعد عني ابتعد عني أيها المسخ!"

والدموع تنهمر منها بغزارة، كان لكلماتها أثر السهام المشتعلة على قلبه الذي أصبح هباءً منثورًا الآن.

ابتعد عنها مشيرًا إلى مايكل الذي تبعه في الخروج، وقف أمام الباب يلقي عليها نظرة لربما تكون الأخيرة

قبل أن تصفعه هو والباب مغلقة إياه.

******

ثم قام بخلع قلادته وأعطاها لأوار وصاح إياك أن تنزعها مهما حدث فهي في أوقات الشدة سوف تحميك..

******

أمضى سديم ليلته شارد الذهن تغالبه دموعه، لقد تذوق آلام الفقد لأول مرة في حياته، كان يعاني من أعراض انسحابها المؤلم وكأنها أعراض انسحاب مخدر ما، أفاق من شروده على صوت مايكل الذي أتى ليوقظه، لقد حان وقت العمل هكذا قال، على مضض نهض سديم من مكانه، كان قد نام بثيابه بفرض أن الجلوس على السرير طوال الليل يعد نومًا.

غسل وجهه ثم خرج هو ومايكل قاصدين المكتبة

أمضى سديم ساعات عمله بذهن شارد لم يتفوه إلا بكلمة أو اثنين، عندما رآها داخلة إلى المكتبة تجرجر أذيال الخيبة والندم خلفها، طالع وجهها فوجد عيونها حمراء كالدم، إذ يبدو أنها قد أمضت ليلتها تبكي هي الأخرى.

اقتربت منه فترك المكان وغادر، على الفور لحقت به.

مشت خلفه ثم قامت بنكزه في كتفه، استدار لها ثم تابع سيره فكررت حركتها، فتوقف ولم يلتفت، أحست بكبريائها يُجرح، تمالكت نفسها واستدارت معطية إياه ظهرها، فقام بنكزها في كتفها، رغمًا عنها ابتسمت.

استدارت وهذه المرة لم تسر خلفه بل سارت بجواره ثم سمحت لأصابع يدها أن تتخلل أصابع يده نظر إليها ثم ابتسم، كان يود لو يحطم رأسها، لو يعنفها، لو يغضب عليها، إلا أن برائتها الملحة قد أفقدته توازنه.

وقفت أمامه فجأة ثم قالت بعيون يملؤها الندم "أنا آسفة أنا حقًا آسفة لا يهمني إن كنت عفريتًا أو مسخًا أو حتى الشيطان ذاته، أنا أحبك وهذا كل ما يهم" ثم ألقت نفسها إلى صدره ضامة إياه إليها.

كانا يسيران في المدينة على غير هدى وكل واحد منهم يمسك بيد الآخر حتى قاربوا على الوصول إلى المكتبة.

نظرت له ثم صاحت بمرح

-"أنظر كيف كنا نسير"

وأشارت إلى يديهم، ابتسم لها ثم قال بصوت رقيق

- "راوند.. أنا أحبك!"

*****

كان ذلك الغريب يقف أمام كوخه الخشبي عندما اقتربت منه إحدى وصيفات عاينه.. انحنت أمامه ثم ناولته قنينة تحتوي بعض قطرات الدم، تناولها في يده مغلقًا كفه عليها وأغلق عينيه ثم فتح يده فكانت القنينة قد اختفت.

وقف باعتداد ثم صاح

-" ليبدأ عهد الدم الآن.. عهد أزيموديوس!"

بعيدًا جدًا في وادي الملوك بمصر سُمع صوت تحطم لوح حجري عملاق قادم من داخل بهو الإله أزوريس، بينما لمعت قلادة ما بنور خافت!

*****

(١٧)

سفير الهلاك

جلس سديم ويولاند ومايكل وكل منهم يطالع ورقة في يده وحولهم تكدست مئات الكتب ذات الأغلفة الغليظة والكتابات الغامضة، تأفف يولاند قبل أن يصيح في صاحبيه

-"أعتقد أن هناك خطأ ما، لا أثر لأي علامة من هذه العلامات في أي كتاب سبق تأليفه".

وافقه مايكل القول ثم استلم دفة الحديث قائلًا

-"لقد كنت أفكر في الأمر ذاته، لم لا نفكر بطريقة مغايرة".

سأله سديم باهتمام

-"بمعني؟"

أجابه مايكل

-"لقد عكفنا نبحث عن هذه العلامات باعتبارها منفصلة" قاطعه سديم صائحًا بحدة "أتقصد أنهم..؟"

أكمل مايكل

- "نعم أقصد أنهم ربما كانوا علامة واحدة في الأصل وتم فصلها إلى عدة أجزاء"

وافقه يولاند القول ثم أخذ منهم الأوراق وظل يرتبها حتى وصل أخيرًا إلى شكل منطقي

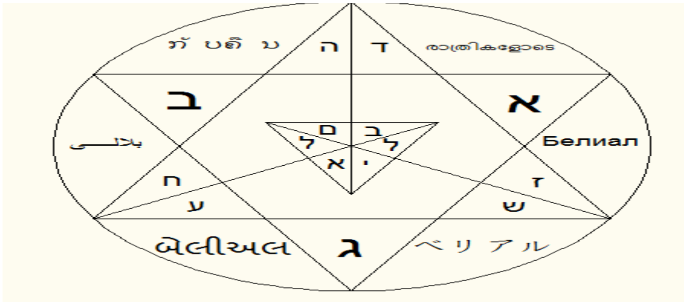

وحينها ظهرت الدائرة الملعونة تلك لأول مرة، تناول سديم الورقة التي تحتوي على العلامة الجديدة التي كانت ثلاثًا منذ لحظات فأحس بقشعريرة تسري في جسده والتوتر يتجلى على قسمات وجهه، ثم جلس على كرسيه وقرب إليه كتابًا كبيرًا ذا غلاف جلدي قديم، زينت جبهته جملة واحدة كانت بلغة هي مزيج من السومرية والعبرية، المندل السليماني.

الساعة الثانية صباحًا

في تلك البقعة النائية التي تقبع وحدها وسط الأحراش بعيدًا عن المدينة وعلى أطراف الغابة المظلمة، كان الظلام يغلف كل شيء وعلى استحياء وقف ذلك المصباح القديم المتدلي على باب ما بدا أنه كوخ قديم أو محل لبيع الخردة إن جاز التعبير مبددًا قدرًا ضئيلًا من تلك الظلمة الرتيبة، وعلى ضوء القمر اقترب شابان على استحياء أحدهما يغطي وجهه بقلنسوة

والآخر كان متمسكًا بيد صاحبه كطفل رضيع وجد أمه للتو، كانا لا ينويان خيرًا، لماذا؟

إنني أخبرك من مقام العالم ببواطن الأمور أن شابان وحيدان يبدو على محياهما الرعب والتصميم لا يذهبان إلى مشارف الغابة بعد منتصف الليل لمجرد اللهو فإنه ولابد أن في الأمر سرًا ما.

التفت الطفل، عفوا بل الشاب الممسك بذراع صديقه هامسًا له

-"ستيف هل أنت متأكد أنه هذا المكان؟"

عاجله ستيف بنظرة غاضبة وصاح به

- "اهدأ أنا متأكد أنه المكان ثم لماذا كل هذا الخوف إن أمي شجاعة عنك".

كان هذا مارك صديق ستيف الوحيد والوحيد كذلك الذي يصدق أنه ساحر كرد فعل للإهانة احمر وجه مارك خجلًا من خوفه المتزايد وقبل أن يرد على صديقه قاطعه صوت باب الكوخ الخشبي وهو يُفتح محدثًا صريرًا عاليًا التفت الصديقان للباب وبدا وكأن عقربًا قد قرصهما، على الباب وقف ذلك الغريب المسربل بالسواد كالعادة بملامحه العجوز التي حفر فيها الزمن الأخاديد، كانت عيناه قرمزية اللون كئيبة تنم عن شعور عارم بالذعر لكل من تقع عليه هذه النظرات واعتلت وجهه ابتسامة كريهة كابتسامة شياطين الجحيم إن كانوا يبتسمون.

-"حسنًا مرحبًا بكم أيها السيدان"

قالها العجوز بنبرة مرعبة كريهة لا تختلف كثيرًا عن ملامحه ثم أردف

- "بم أستطيع أن أخدمكما"

تنبه ستيف لكلامه وكأنه كان تحت تأثير مخدر ما ثم نظر إلى ذلك العجوز ونظراته تحمل أعتى درجات الارتباك وبصوت متلعثم عبثًا حاول أن يجعله متماسكًا

-"هناك..لقد.. دلنا.. رجل.. المساعدة".

خرجت الكلمات من حلقه مبعثرة قبل أن ينعقد لسانه، نعقت بومة وهي تحلق من على شجرة قريبة فراقبها مارك وهو يزدرد لعابه بصعوبة، بينما ضيق الغريب عينيه ناظرًا لهما نظرة قادمة من أحلك دركات الجحيم ثم صاح

-"يبدو أن أرسن قد دلكم على متجري المتواضع أيكم ياصغيريّ هو ساحرنا؟"

جال ببصره بينهما قبل أن يثبته على ستيف المرتعش وضحك كاشفًا عن فمه الخالي من الأسنان ثم تمتم

-"يبدو أنه أنت ياعزيزي إن موهبتك جلية عليك"

اعتدل ستيف في وقفته متخليًا عن ارتعاشه ليحل محله الشموخ وفي زهو نظر إلى صاحبه بجانب عينه ولسان حاله يقول ألم أخبرك..

ثم صاح في الرجل بصوت متماسك هذه المرة

-"نعم إنه أنا لقد أخبرنا رجلك أيًا كان اسمه أن متجرك يحوي الكثير من الكتب التي سوف تساعدني في ثقل موهبتي وذلك بعد أن حضر إحدى عروضي في الحانة الواقعة على أطراف المدينة قريبًا من هنا".

-" أوه خيرًا فعل"

نطق بها ذلك الغريب وكأنه كان ينتظر التطرق لهذا الأمر

-"هلموا يا صغاري تفضلوا بالدخول فإن عندي ما ترغبون"

تحرك الغريب ليسمح لهم بالمرور، أثناء مرورهم لاحظ مارك أن ملامح ذلك العجوز تبدوا مألوفة أما ستيف الذي أعماه بحثه لم يلحظ أن العجوز هو ذاته الشخص الذي دله على هذا المتجر إلا أنه قد كبر في السن فجأة!

بعد مرورنصف ساعة تنهد مارك في يأس ثم تكلم بنوع من التذمر

-"ستيف هذه هي المرة الخامسة التي نجول فيها بين هذه الأرفف القديمة ونحن حتى لا نستطيع أن ننطق أسماء هذه الكتب أرجوك سوف تقتلني أمي"

-"اصمت"

صاح بها ستيف بحدة وعيونه مليئة بالحنق علي صاحبه، قبل أن يلاحظ ذلك الغريب الذي وقف ورائهم يراقب المشهد وكأنه قدم من العدم، نظر إليهما مطولًا واعتلت ملامحه تلك الابتسامة الجحيمية تلك قبل أن يقول

-"سيدي الصغير إن لي باعًا طويلًا في هذا المجال وإني لأحفظ كل مؤلفاته عن ظهر قلب وإن لم أمتلك ملكة السحر مثلك"

ابتسم ستيف في خيلاء وزاد ارتباك مارك قبل أن يستطرد العجوز قائلًا

-"هل لي أن أقترح عليك الكتاب المناسب؟"

-"في الواقع ليس عندي مانع أرجو أن تدلني على الكتاب الذي يناسب موهبتي" غمغم بها ستيف، تقدم العجوز بخطوات ثابتة ونظر إلى إحدى الأرفف وكاد مارك يقسم لستيف أن هذا الرف لم يكن موجودًا أثناء

بحثهم، مد العجوز يده وسحب كتابًا ضخمًا أسود اللون حوافه مذهبة وعنوانه بنفس اللون الذهبي، ثم اقترب منهما ووضع الكتاب في يد ستيف الذي نظر إليه بانبهار ممزوج بالوقار، أما مارك فزادت الشكوك لديه وأصبح بادِ العصبية "ستيف هل أنت متأكد؟" قالها مارك معترضًا على أمل أن يستمع إليه صديقه الذي صاح به بنبرة تحمل أعتى درجات اللوم "هل أنت طفل؟ تمالك نفسك بحق الجحيم!" ثم توجه ناحية العجوز وهمس بأدب "أرجو أن تعذر صديقي يا سيدي إنه فقط لا يمتلك شجاعتي في مثل هذه الأمور" نظر العجوز إلى مارك نظرة جمدت الدم في عروقه قبل أن يبتسم له نفس الابتسامة المقيتة، تنبه ستيف إلى الكتاب الذي يحمله في يده والذي لابد أنه يساوي ثروة، فسأل العجوز "سيدي لكن ثمن هذا الكتاب لابد أن يكون كبيرًا وأنا في الواقع لا أملك الكثير من المال؟"

ضحك العجوز ضحكة جوفاء قادمة من بئر سحيق وترت ستيف نفسه الذي تظاهر بالشجاعة قبل أن يجيبه "يا بني إن ثمن هذا الكتاب جنيهان اثنان وكذا باقي الكتب الموجودة هنا" لم يصدق ستيف السعر وظل يبحث في جيبه كالمسعور حتى أخرج آخر ما يملك من مال والذي صادف أنه جنيهان!

وضع مارك يده على يد ستيف معترضًا إلا أن نظرة من ذلك الأخير كانت كافية بجعله يتراجع عن اعتراضه، تناول العجوز المال من يده ثم بصوت كفحيح الأفاعي قال "هل هناك شيء آخر يمكنني أن أقدمه لكما؟"

-"شكرًا سيدي"

قالاها معًا ثم هما بالانصراف، قبل أن يصلوا إلى الباب، تنحنح العجوز فالتفتا ليقابلا يده الممدودة بحقيبة ما ثم صاح

- "أخشى أن الأنواع الموجودة بالسوق قد لا تضمن نفس النتائج".

-"سيدي لا يمكنني.. لا أملك أي مال".

مجددًا ضحك العجوز ضحكته الشريرة تلك ثم أكمل قائلًا "بني العزيز إنها هدية مني، كل أصدقاء أرسن هم أصدقائي" اختطف ستيف الحقيبة وهو غير فاهم لما تحتويه أو حاجته إليها فتبين أنها تحتوي على بعض الشموع الغريبة وأشياء أخرى لم يتبينها ثم أسرع مغادرًا قبل أن يغير العجوز رأيه، راقبهما العجوز وهما يغادران ثم همس "مرحبًا بعودتك يا سيدي!" قبل أن يختفي من المكان فجأة!

بعد أن خرجا إلى هواء الليل البارد كان ستيف فرحًا إلى حد لا يوصف بالصفقة الرابحة كما وصفها والتي عقدها مع ذلك العجوز, أما مارك -على النقيض تمامًا- فكان غير مرتاح للأمر، حاول جاهدًا أن يثني ستيف عن كل ما يفكر فيه إلا أن الأخير انفجر فيه غاضبًا وصاح فيه

-"إن كنت جبانًا هكذا فلا تأتي معي".

صمت مارك وقد غلب عليه أمره وسار صامتًا بجوار صاحبه

****

الساعة الرابعة فجرًا منزل ستيف

في حجرة المعيشة وقف الشابان وقد أزاحا كل قطع الأثاث جانبًا وتعرت الأرض من مفروشاتها، كانت آثار الارتباك والشك بادية على مارك الذي عبثًا حاول استمالة صاحبه للإنصات إلا أن ستيف كان عنيدًا كالثور

-"يكفي يا مارك! أنت مجرد شاهد ها هنا على ما سيحدث ولا خطر عليك"

-" لكن.. لكن"

تحدث مارك فنظر إليه ستيف بحنق.

تنهد في أسى ثم صمت وهو يشاهد ستيف منهمكًا في تصفح الكتاب قبل أن يستقر على صفحة بعينها

- "حسنا هذا سوف يفي بالغرض"

همس ستيف

لطالما ظن ستيف أنه أكثر قوة من كل من عرفهم، أكثر ذكاء ومهارة، ولطالما كره استخفافهم به وهذه التجربة هي ما سيعيد الأمور إلى نصابها الصحيح، تناول قطعة من الطباشير غريب اللون وجدها في الحقيبة، غريب هذا إن المرء لا يقابل كل يوم عجوزًا طيبًا يسكن الغابة كالأشباح ليبيع له كتابًا سحريًا بثمن بخس بل ويعطيه أدوات التعويذة التي سيستقر عليها كذلك، كل هذه البديهات لم تمر على عقل ستيف لماذا؟.. لأنه أحمق لا ريب!

أخذ ستيف يرسم على الأرض العارية نجمة خماسية عملاقة مزركشة بآلاف الرموز التي يجهل هو معناها!

ثم قام بتثبيت خمسة شموع سوداء وجدها في الحقيبة أيضًا على جهات النجمة العملاقة نظر إلى مارك وابتسم ابتسامة مرهقة ثم قام بتثبيت الشموع الخمس تباعية في الجهات الخمس للنجمة، الآن عليه أن يفكر بطريقة يُرضي بها غرور الكائن أو أيًا كانت ماهية الشيء الذي سيستدعيه،

لابد من صيغة رسمية شبه تعبدية تحتوي الكثير والكثير من التوسل ليرضي غرور ذلك الشيء، ولا يوجد أفضل من اللغة السومرية القديمة لاجتذاب أقوى الشياطين وأقدمهم عبر العصور.

في منتصف النجمة تمامًا وقف ستيف ممسكًا بالكتاب ثم نظر إلى أسفل وتمتم بكلمات غير مفهومة باللاتينية، لم ينتبه مارك من كثرة خوفه وتوتره إلى أن صديقه الذي يجيد الإنجليزية بشيء من الصعوبة صار خبيرًا في اللاتينية القديمة في أقل من نصف ساعة!

انتهي ستيف فرفع بصره إلى السماء وكأنه يناجي شيء ما وتمتم بذات اللهجة والعبارات الغامضة.

ناظر ستيف الشمعه الأولى وتغيرت لغة إنشاده من اللاتينية إلى السومارية التي صار خبيرًا بها هي الأخرى بدأت شرارات مجهولة المصدر تحوم حول الشمعة الأولى حتى اشتعلت من تلقاء نفسها

استدار ستيف ليواجه الشمعه الثانية وكرر إنشاده بذات العبارات التي لا يدري كنهها فحذت حذو الأولى واشتعلت، وكذا فعل مع باقي الشموع الخمس بالترتيب، بدأ لهب الشموع السوداء يتراقص في كل الاتجاهات كما لو أن هناك رياح عاتية تجتاح المكان، هنا صاح مارك بعصبية مفرطة

-"ستيف يجب أن يتوقف هذا العبث الآن"

وهم بدخول الدائرة، إلا أن النظرة التي رآها على وجه صاحبه قد شلته تمامًا كان وجه ستيف آية من آيات الرعب برزت فيه كل عروقه أما عينيه فقد ذهب بياضهما وحل مكانه اللون الأسود، أشاح بناظريه عن مارك

الذي عزف عن قراره ثم جثا على ركبتيه في وسط الدائرة ضامًا يديه إلى صدره وبصوت جهوري لا يمتُ إلى ستيف بصلة صاح بقوة

-"بقوى السيد افتح البوابة.. بضياء النور العتيق أنر طريقي القاتم.. استدع سيد الفوضى، ملك الجان العاتين أزيموديوس.. أنت يا من تملك مفاتح الأسرار.. انهض من بين طيات الزمن واخترق المحبس.. أستدعيك بكل روحي وقوتي.. حل علي في هذه الساعة".

نطق ستيف بالكلمات فأخذ جسده يهتز ويختلج اختلاجات عنيفة وارتفع اللهب من كل الشموع حتى كاد أن يقارب السقف، اعتدل ستيف ثم أكمل في خشوع..

-"أيها الملك العظيم يا سيد المفسدين.. انهض وتقبل جسدي قربانًا لقوتك الغير متناهية"..

مرت لحظات كالدهر على المكان لم يكن ستيف يشعر بالقوة ولا حتى بالحياة، عادت عيناه للونهما الطبيعي وجل ما كان يشعر به هو ألم رهيب يمزق أوصال جسده، أحس مارك بثقل رهيب يجثم على صدره حتى أنه سقط على الأرض، إنه ذلك الثقل الذي يجثم على الصدور فيجعلها تنقبض، ظل الألم يعصف بجسد ستيف حتى بدأ يبكي، نظر إلى صاحبه نظرة ألم وندم قبل أن يقول بصوت مرتعش "سامحني يا صديقي" ثم وفي لحظة هوى جسده على الأرض واشتعلت النار به حتى أحالته إلى تراب!

ارتجت الأرض وأخذت النجمة تتشقق وخرج منها دخان أسود أخذ يتكثف ويتحد مع بعضه مكونًا ما بدا أنه لوح حجري عملاق، بدأ ذلك اللوح في التشقق بعنف وتطايرت الأشلاء في كل مكان ثم برز فجأة من

العدم من خلف اللوح شخص نحيف شديد الطول وشديد بياض الوجه كل ما يظهر منه هو نصفه الأيسر، بينما أحاط الضباب بنصفه الآخر، شديد سواد الشعر هو، يرتدي ملابس تناهز شعره في السواد، مشى إلى الأمام بثبات وشعره المنسدل يغطي عينه اليمني نظر إلى مارك بهدوء مخيف قبل أن يملأ صوت الشيطان اللعين المكان ويتخلل العقول

-"من الذي نال شرف إيقاظي من سباتي؟"

كاد قلب مارك أن يثب من مكانه من شدة الرعب ومن نظرات أزيموديوس، وفجأة نظر أزيموديوس إلى يساره بعنف قبل أن يهمس

-"مستحيل!"

تلفت حوله وتمتم ببعض العبارت التي لم يتبينها مارك ولو سمعها ما فطن لشيء منها ثم أخذت الحرارة في الازدياد حتى أن مارك أحس أن ذلك الشيطان قد ذهب به إلى قلب بركان ما، أو ربما إلى الجحيم ذاته، وما هي إلا لحظات حتى خرجت من باطن الأرض ألسنة من لهب أحاطت كلها جسد أزيموديوس وظلت تدور حوله ثم التحمت به واختفى الاثنان!

اعتدل مارك وهو يحاول أن يلملم شتات عقله بعد ما رآه، وفجأة انبثقت من العدم عين بشرية عملاقة مغلقة أخذت تتسع رويدًا رويدًا حتى كادت أن تملأ المكان ثم دوى الصوت في كل مكان..

-"أزيموديوس!!"

في نفس اللحظة كان سديم منهمكًا في مطالعة كتاب المندل السليماني قبل أن يسقط الكتاب من يده وينظر إلى صديقيه والهول باد من ملامحه

وبصوت مرتعش قال "لقد.. لقد عرفت معنى هذه العلامة.. إن ملك الفوضى يسير بيننا" وما إن نطق بها حتى أخذ الجهاز الذي حول معصمه يومض قبل أن تتحطم شاشته معلنة وصول سفير الهلاك!

*****

بيت ستيف مجددًا

كاد مارك أن يغشى عليه من حدة الصوت الذي سمعه، أسند نفسه إلى الحائط وهو يراقب تلك العين وهي تكشف ما بها من أهوال، اتسعت العين أكثر وأكثر، فغر مارك فاهه من هول ما يرى، خرجت من العين قدمان شديدتا البياض ثم أخذت ملامح الجسد تتضح أكثر فأكثر "إنه.. إنه جسد فتاة" تمتم بها مارك وهو ينظر لذلك الجسد العاري شديد البياض قبل أن تكشف العين عن رأسها، وقفت ترمقه بنظرات نارية، فتاة عارية الجسد بوجه عسقلة -أنثى الذئب- ثائرة، ثم صاحت بصوت أنثوي لا يخلو من الغلظة

"اختر كلماتك التالية بحذر أيها الإنسي فقد تكون الأخيرة لك" انعقد لسان مارك وكاد يغشى عليه حتى أتى صوت زمجرة مخيفة من خلف تلك الشيطانة المريدة، التفتت لتجد خلفها ثلاثة كلاب سوداء عملاقة تناهز الدب طولًا أخذت تعوي بمنتهى الشراسة وتنظر نحو أشيرا بتحفز منتظرة الهجوم.

نظرت أشيرا إلى الكلاب باستخفاف وصاحت "كلاب الجحيم، إذا فقد ترك لي أزيموديوس كلابه لألهو بها" أما مارك فلم يتحمل كل ما رأى من ملوك وشياطين عائدين وكلاب جحيم وسقط مغشيًا عليه، تحركت

الكلاب الثلاثة معًا كالجسد الواحد وانقضوا على ذلك الجسد العاري هادفة تمزيقه، لم تتحرك أشيرا وهي تنظر إلى الكلاب التي فاقتها طولًا وقبل أن تثب الكلاب عليها ارتكزت على قدمها وانقبضت عضلات ساقيها بقوة لتدفع جسدها العاري فوق الكلاب التي شلتها الصدمة وأسقطتها أرضًا، رفعت يدها عاليًا وأخذت تدور حول نفسها صانعة دائرة وهمية انبثق منها دخان أبيض سميك انسدل على جسدها العاري متوجهًا إلى الكلاب وما إن لامس ذلك الدخان الكلاب حتى أحرقها عن بكرة أبيها مكونًا من أجسادها كتلة من العظام المهترئة التي لم تلبث أن تحولت إلى تراب!

ثم ظل ستار الدخان-والذي لم يكن إلا تعويذة للتقدم في الزمن- يتسع شيئًا فشيئًا ويدور حول الجسد العاري حتى أخفاه تمامًا ثم اختفت الشيطانة ودخانها الأبيض، ولم تلحظ الوجه الضبابي لابن آوى وهو يختفي من المكان!

*****

(١٨)

على مشارف الهلاك

-"علينا الاتصال بالمعلم"

صاح بها سديم أخيرًا بعدما أهلكته الصدمة وأعطبت حواسه.

تأمل ذلك الجهاز المهشم الذي يزين معصمه، تنهد بأسى وبدأ يضغط على الأزرار تباعا حتى تأكدت له مخاوفه لقد أُعطب الجهاز.

كان ذلك عندما دخل مايكل من الباب وقف يلتقط أنفاسه ثم صاح فيهم

-"إن الخبر صحيح أزيموديوس هنا.. السماء مكفهرة والبرق يضرب كل شيء وكأنها علامة حضور الشرير".

ناوله يولاند كوبًا به بعض الماء ثم قال

-"يبدو أن الملك قد ترك محبسه لكن لماذا؟"

-"من أجل الطاقة"

همس بها سديم وبصره معلق بالفراغ يفكر في المصير الأليم الذي سوف تُسفر عنه الأحداث ثم أكمل قائلًا

-"أزيموديوس يتغذي على الأرواح، أرواح جل المخلوقات لكن أي الأبعاد مناسب له يا ترى؟ إنه يحتاج إلى بعد لا يقوى أهله على مقاومته لذا أتى إلى الأرض ليشحن قواه فقط ثم يبدأ حربه من جديد!

-لقد أخبرني أبي أنه في سالف العهد حل أزيموديوس على الأرض ضيفًا غير مرغوب فيه بيد أن كيانًا ما هزمه ومع غياب هذا الكيان الآن يقع الأمر على عاتقنا"

بدت الكآبة على الوجوه الثلاثة قبل أن يقطع يولاند الصمت متسائلًا

-"وكيف نوقفه؟"

أجابه سديم

- "علينا التصدي له قبل أن يبدأ عملية الصيد خاصته وإلا سنكون في عداد الأموات!"

*****

جُرف دوفر

وقف هناك أعلى التلة والهواء يحرك عباءته السوداء، على محياه ارتسمت ابتسامة ساخرة مخيفة وهو يطالع نهر التايمز من أمامه "سوف أستمتع هذه المرة بلا أدنى شك" همس بها لنفسه بينما تعالى صوت هسيس مخيف قادم من الأشجار، استدار أزيموديوس فحرك الهواء خصلات شعره المنسدلة فقط ليجد أمامه المئات من تلك الكائنات الصغيرة التي تشبه القردة إلا أنها أكثر سوادًا تنبت من باطن الأرض وكأن الأرض تلفظهم، كانوا يقفون الصف تلو الآخر بتنظيم بينما زادت ابتسامة أزيموديوس الساخرة اتساعًا وهو يصيح "لقد وصلت فرقة الاستقبال سريعًا" كشرت تلك

المخلوقات عن أنيابها وأخذت تزأر بعنف قبل أن تنقض جميعًا على أزيموديوس الذي تشكل في يده سيف ذهبي عظيم ذو مقبض أسود اللون قبل أن ينقض عليهم بالمقابل، زأر كما لم يحدث من قبل، زأر حتى ارتجت التلة من تحت قدميه، وصاح حتى أفزع الأسماك في جوف التايمز، وبحركات رشيقة من سيفه الذي بدا وكأنه قطعة من جسده اخترق صفوف تلك المخلوقات الصغيرة يضرب بسيفه يُمنه ويُسره فيقتل هذا ويجندل ذاك، بدت المعركة الآن وكأنها حصة تدريبية له أو ربما الإلهاء ليس أكثر!

أثناء انشغاله بالقضاء على تلك المخلوقات التي بدا أنها تتكاثر كلما أوشك على الوصول لنهايتها، لم ينتبه إلى تلك العين البشرية المضيئة التي نبتت خلفه من العدم ولا لذلك الجسد الأنثوي العاري الذي خرج منها برأس العسقلة المميز ذاك، إنها أشيرا!

لم تضيع أشيرا الوقت وانقضت على أزيموديوس الذي تنبه لها لكن متأخرًا فقط لتهوي على وجهه بصفعة نارية من يدها اليمنى طرحته أرضًا، على الفور اعتدل أزيموديوس ووضع يده مكان الصفعة التي أحالت نصف وجهه إلى عظام شبه محترقة قبل أن يقول "لقد كنت أحب هذا التجسد" ثم وفي لمح البصر استطال جسده وأطرافه وحل مكان ردائه الأسود ذلك الدرع الفضي اللون ذو الأوجه الذي ظهر به سلفًا في مصر القديمة، نظر ناحيتها والشر يلتمع في عينيه قبل أن يصيح
-"حسنًا.. حسنًا إنني أدين بالشرف لعاهرة بابل على حسن الاستقبال".

كشرت أشيرا عن أنيابها قبل أن تصيح فيه بدورها

- "هدية صغيرة من عرافة الفرعون والآن لننهي هذا الأمر".

-"صدقتِ القول أيتها العاهرة لننهي الأمر الآن فلدي عالم أنوي إبادته"

قالها أزيموديوس ثم استل سيفه وتوجه إليها راقصًا معها رقصة الموت تلك!

هوى أزيموديوس بالسيف على جسد أشيرا الذي كان السيف أضخم منه مرارًا وتكرارًا بينما هي تتفادى الضربات، تتلوى بجسدها كالحية وتراوغ ضربات أزيموديوس، همست لنفسها "قليلًا بعد" وهي تتفادى ضربة من سيفه البتار كادت تفصل رأسها عن جسدها وقد تحقق مرادها أخيرًا، أصبحت ضربات أزيموديوس أبطأ قليلًا وحركته خرقاء أكثر تنم عن الإجهاد، حاول أن يضرب جزعها بالسيف فتراجعت إلى الخلف بسرعة ثم قفزت في الهواء دافنة قدمها في وجهه، أطاحت الضربة بأزيموديوس عدة أمتار إلى الوراء، نهض أزيموديوس عن الأرض ثم ألقى السيف وصاح بغل

-"كفانا عبثًا!"

أغلق أزيموديوس عينه ثم فتحها وقد التمعت نيران الجنون بهما، فتح راحتيّ يده في اتجاهها فنشأ من العدم كرة نارية عملاقة أمسكها بكلتا يديه ثم قذفها مباشرة إلى أشيرا، بأعجوبة استطاعت أن تتجنب تلك الكرة النارية، تدحرجت على الأرض برشاقة ثم اعتدلت لتجد واحدة أخرى أمامها، أصابت الكرة النارية صدرها العاري وأحست بالشعر يحترق علي رأسها الحيوانية، قبل أن تطرحها قوة الضربة أرضًا تئن من الألم، تناول أزيموديوس سيفه ثم توجه إليها ينوي الانتهاء من هذه المهزلة التي طالت

فقط ليفاجئه سرب من تلك المخلوقات الصغيرة سادًا الطريق عليه، صاح بحقد

-"إنك تقاتلين كعاهرة حقًا"

أما هي فابتسمت كاشفة عن أنيابها قبل أن يختفي جسدها من المكان.

غضب أزيموديوس فشرع يصب جام غضبه على تلك المخلوقات البائسة التي وقفت في طريقه للنيل من تلك الآثمة، أعادته ذاكرته للوراء عندما كانت الأرض له وحده وإلى تلك الشيطانة المريدة التي فُتن بها يومًا ما، عاهرة بابل التي قتل مليكها فنذرت حياتها فقط للقضاء عليه لقد كانت دومًا كالشوكة الواقفة في حلقه وقد آن أوان انتزاعها، أفاق من ذكرياته عندما أحس بشيء ما يدنو منه وعلى الفور التفت ضاربًا الفراغ بظهر يده اليسرى ذات القفاز، سمع صوت ارتطام شيء ما بالأرض على بعد عدة أمتار منه قبل أن يتبدى جسدها متكومًا على الأرض، ابتسم أزيموديوس ثم قال

-"تعويذة الإخفاء، إنك لذات خيال بناء حقًا لكن لا تحاولي معي نفس الخدعة مرتين، فسيد الخداع لا يمكن خداعه"

استندت على ركبتيها ثم اعتدلت واقفة، مسحت خط الدم الذي سال من فمها ثم صاحت بصوت جهوري

-"عندما ننتهي هنا سترى من هو السيد الحقيقي!"

****

تناول سديم ومرافقيه كل ما كانوا يملكون من الأسلحة ثم خرجوا مهرولين، في الأفق بعيدًا تبدى لهم تلك التلة الواقفة في الظلام والبرق

يضربها منذرًا بالويل وعندها تأكد سديم ومن معه من وجهتهم فأجدوا السير ذاهبين لملاقاة الجحيم ذاته.

****

قفزت أشيرا عاليًا ثم قامت برفع يدها فوقها راسمة دائرة تخيلية انبثق منها ضباب أبيض لم يلبث أن توجه إلى حيث يقف أزيموديوس، زادت ابتسامته الشيطانية اتساعًا بينما برز من أصابعه ضباب أسود قابل ذلك الضباب الذي خرج من دائرة أشيرا مغلفًا إياه ثم اختفى الاثنان في مشهد مهيب، ضحك أزيموديوس بشدة قبل أن يصيح في أشيرا "خدعة أخرى ربما" نظرت له والغل يلتمع في عينيها قبل أن تصيح "حسنًا إذا" بترت جملتها بسبب ظهور مفاجئ لأزيموديوس أمامها مباشرة يهوي بسيفه الذهبي بقوة ليحزعنقها فتحركت بسرعة ورشاقة للخلف متفادية السيف القاتل وفي نفس اللحظة هوت عليها كرة عملاقة من النار كادت تفقدها توازنها لبرهة كانت كافية لأزيموديوس الذي انقض عليها ممسكًا رقبتها بعنف، ظلت أشيرا تتلوى بقوة محاولة إلانة قبضته القاتلة، بدأت صورتها تهتز وتتذبذب في يده حتى اختفت تمامًا، تحفز أزيموديوس في وقفته وظل يتلفت حوله منتظرًا ظهور تلك الشيطانة من جديد قبل أن تهوى فوقه من أعلى، لدقيقة ارتبك أزيموديوس كادت فيها أن تغرس أنيابها في رقبته لولا أن استعاد رباطة جأشه وأطاح بها على الأرض، اعتدلت في وقفتها على الفور ثم تشكل في يدها رمح ماسي اللون، وقد أخذت المعركة منحنى أكثر عنفًا

وصل سديم ومرافقاه أخيرًا ليستقبلهم صوت احتكاك المعدن بالمعدن، وقفوا في رهبة يطالعون تلك المعركة الدائرة ببأس، توجه أشيرا ضربات

رمحها التي يتلقاها أزيموديوس على نصل سيفه الذي بدا كما لو أنه يضيء من أثر تلك الضربات، تنبهوا أخيرًا لقدومهم فنظر إليه أزيموديوس ثم ابتسم له كأنه يعرفه منذ زمن!

بينما كشرت أشيرا عن أنيابها، نظرت إليهم نظرة فاحصة قبل أن تنهال على أزيموديوس بمزيد من الضربات.

نظر سديم إلى مايكل ويولاند فتحفز كل واحد منهما، استل سديم سيفًا أسود اللون بينما أمسك كل من يولاند ومايكل برمح ثلاثي يشبه إلى حد كبير رمح بوسايدون، لم يكدوا يخطون خطوة واحدة حتى ظهر ذلك الغريب المسربل بالسواد طائرًا وكأنه غراب ضخم.

على الفور كشف سديم عن يديه فتألقت الرموز المرسومة عليها بمجرد أن نظر إليها، نطق سديم بعدة كلمات فتشكل أمامهم جداران أحدهما من نار والآخر شفاف يكاد لا يُرى بينما نبت من الفراغ سوط عملاق توجه ناحية ذلك الغريب مباشرة، ابتسم ذلك الغريب في رضا ثم صاح بصوت جهوري

- "الراجمات النافذات.. العاصفات المهلكات"

ارتجت السماء وانطلق منها ثلاثة ألسنة من البرق هوى أحدها على السوط فأعاده من حيث جاء.. إلى العدم!

أما الثاني فاخترق جدران الحماية التي شكلها سديم مدمرًا إياها كما يخترق النصل الماء، أما الصاعقة الثالثة فهوت على سديم ومن معه مباشرة.

سقط سديم على الأرض وذهنه ينساب منه وكان آخر ما سمعه

-"لا تحاول استعمال السحر على من علمك إياه"

بدا له هذا الصوت مألوفا

مألوفًا جدًا..!

فكر في ذلك قبل أن يغيب عن الوعي.

استيقظ سديم من غفوته القصرية تلك لتصله أصوات المعركة المحمومة إذ يبدو أنها سوف تستمر أبد الدهر، حاول النهوض فأحس بشيء ثقيل ذي ملمس معدني يطوق رقبته، بعد جهد وعناء فتح عينيه فقط ليطالع الجحيم بحد ذاته!!

رُصت أمامه ثلاثة مكعبات ضخمة من زجاج شفاف أسقفها من معدن ما، كانت رؤيته مشوشة قليلًا، مسح عينيه بباطن كفه الأيمن ثم مشى ناحيتها خطوتين قبل أن تشله المفاجأة.

في المكعب الأول وجد يولاند واقفًا هناك يضرب بيديه العاريتين الزجاج الذي اتضح أنه عازل للصوت أيضًا، أما في المكعب الثاني وقف مايكل والشرر يتطاير من عينيه غضبًا وكأنه ثور جامح تم تقييده، أما المكعب الأخير فكان يحتوي مفاجأة خاصة لسديم!!

وقفت هناك دامعة العينين مهلهلة الثياب شعثاء الشعر والذعر بادٍ عليها إنها راوند.. حبيبته راوند!!

كانت تلك القشة التي قصمت ظهر البعير، أطلق سديم ساقيه للريح متوجهًا إلى تلك المكعبات قبل أن تشده سلسلة ما بعنف ملقية إياه على الأرض قبل أن يصل إلى وجهته ببضع سنتيمترات، اتضح له أن الطوق الذي كان يطوق رقبته متصل بسلسلة غليظة مثبتة بأحد الصخور، سمع من خلفه ضحكات رجولية فتحامل على نفسه ونهض ليطالع صاحب

تلك الضحكات، وجده هناك بلباسه الأسود بالقرب من المكعب الذي يحوي بداخله راوند ينظر إليها باهتمام قبل أن يصيح

- "إنها مخلوق مثير.. تصلُح للإقتناء".

صاح فيه سديم بهياج

- "من أنت؟"

التفت ليواجهه ثم قال

-"أحقًا لا تعرفني ياسديم؟ أم تفضل أوار؟"

وقف سديم فاغرًا فاهه من الدهشة بينما ذلك الغريب ينزل تلك القلنسوة عن وجهه لنراه لأول مرة، همس سديم بوهن وعجز

-"لكن كيف؟.. كيف أيها المعلم؟!"

لم يكن غريبنا محب اللون الأسود إلا المعلم الأكبر، مستشار الملك طارش آصف بن ميخائيل!

أكمل المعلم آصف موجهًا الحديث إلى سديم "وكيف لا يا بني العزيز، أتعلم كم من الوقت انتظرت هذه اللحظة؟

أتعلم كم شاقيت في سبيل هذا؟

أخيرًا ضَعُفت شوكة آل طارش بعد كل هذه القرون واختفت مملكة الفراعين، أخيرًا لدي القدرة على إزاحتكم من مكانكم، لدي القدرة أخيرًا لأعيد توزيع الأدوار من جديد"

صاح به سديم

- "إذا أنت من هاجم المعبد؟"

أجابه المعلم قائلًا

- "بالطبع أيها الأحمق كان أنا، لقد احتجت إلى خطة محكمة لآتي بك إلى هنا فكما تري وجودك كان مهمًا من أجل فتح البوابة ومنها عبر أزيموديوس".

-"لكن كيف؟" سأله سديم والحزن يتجلى عليه

-"هل اعتقدت حقًا أني سوف أترك حكم الأبعاد لصبي أرعن مثلك؟.. لا إنه حقي بعد كل هذه السنوات..

بالطبع لا طاقة لي بك في كنيابون وسط جيوشك وحرسك، أما هنا والآن وبصورتك الأرضية فأنت كالحشرة، حشرة مزعجة لابد من الخلاص منها وبقوى أزيموديوس سوف أمحي تاريخكم من الوجود ليبدأ تاريخي أنا" ثم أكمل قائلًا "والآن يا جلالة الأمير راقب أحباءك وهم يقضون نحبهم أمام عينيك" ختم المعلم آصف جملته بأن طار في السماء ليستقر فوق المكعبات مشاهدًا ما يحدث!!

وبعيون فزعة راقب سديم المكعبات الثلاث وهي تلقى ما في جعبتها من أهوال.

في المكعب الأول حيث يقف يولاند انفصل من السقف المعدني جزء دائري متصل بعمود غليظ، وفي سرعة وعنف هبطت كتلة المعدن تلك على جسد يولاند طارحة إياه على الأرض الزجاجية يئن من الألم قبل أن تصعد إلى السقف ثانية وتعاود الكرة..

أما في المكعب الثاني حيث مايكل بدأت مئات من الشحنات الكهربائية تتجمع على السقف قبل أن تنقض على مايكل وكأنها لسان برق صغير،

أصاب صدره فسقط على الأرض شبه مغشي عليه قبل أن تصيبه شحنة أخرى..

ولم يكن حال راوند أفضل حالًا من البقية حيث فُتحت في ذلك السقف المعدني عشرات الفُتح الصغيرة التي أخذ الماء يتدفق منها بغزارة وسط صرخاتها وتوسلاتها الغير مسموعة!

عبثًا حاول سديم التملص من تلك السلسلة التي تقيد حركته قبل أن يتيقن أنها النهاية، سقط على ركبتيه والدموع تصنع شلالًا خاصًا بها من عينيه

-"أرجوك.. أرجوك اتركهم".

صاح مخاطبًا المعلم آصف الذي اقترب من موضعه وزادت ابتسامته بينما سديم يكمل "اقتلني أنا لكن دعهم وشأنهم" ضحك المعلم قبل أن يقول

-"ومن قال أني لن أقتلك؟ سوف أدمر كل ما تُبجل وتحب، كانت البداية برواد مكتبتك الحبيبة مرورًا بهؤلاء الثلاثة وصولًا إلى كنيابون ذاتها وعندها.. عندها فقط سوف أقتلك"

بجوارهم تفادى أزيموديوس في اللحظة الأخيرة ضربة من رمح أشيرا كادت أن تخترق قلبه قبل أن يضربها بظهر يده ملقيًا إياها على الأرض تئن من الألم والإعياء، استند على ركبته ثم استقام واقفًا، مشي إليها بضع خطوات مترنحة قبل أن يصيح فيها

- "عبثًا حاولتي من قبل وعبثًا تحاولين الآن انظري إلى مصير كل من حاول إيقافي! لقد هلك سيدك وكذلك هلك سادة الجان الأوائل عندما وقفوا في طريقي، لم يبق غيري أنا، حتي أعرق حضارات بني الإنسان

حاولت منعي أوتعلمين ماذا؟ لقد هلكوا أيضًا بينما بقيت أنا، إنني محتوم، شر لابد منه، إنها فرصتك الأخيرة انضمي إلي أو اهلكي مع الهالكين"

اعتدلت أشيرا على مرفقيها وبصقت عليه، اقترب منها وقام بركلها بقدمه فتدحرج جسدها بضعه أمتار، تكلم قائلًا

-"لقد أوحيتِ إلي بفكرة أن الماضي لا ينفك يلاحقني وقد حسمت أمري سوف ألاحقه أنا أيضًا ولتكونن نهايتك الأليمة هناك حيث كانت نهايتي إلا أن خاصتي استمرت لبضعة قرون فقط"

فتح أزيموديوس يديه على اتساعهما ورفع رأسه إلى السماء، انبثق من بين يديه شعاع من نور لم يلبث أن غطى جسده كليًا ثم أخذ في الاتساع والاتساع حتى غطى الجُرف الذي كانوا يقفون عليه تمامًا وعندما انقشع أخيرًا كانوا يقفون في جوف الصحراء وقد أطبق الليل عليهم!!

خفض أزيموديوس عينيه إلى أشيرا التي كانت قد اعتدلت في وقفتها وصاح

- "مرحبًا بك في مملكه الفراعين أم يجب أن أقول مملكتي الجديدة"

زمجرت أشيرا وهي تهرول ناحيته والرمح يلتمع في يديها عاكسًا ضوء القمر وصاحت فيه

- " لننتهي من هذا الهراء الآن"

لاحظ المعلم آصف تبدل المكان الذي حدث من حوله ولم يعر الأمر انتباهًا

إذ كان منشغلًا بتعذيب سديم..

كان سديم يراقب يولاند الذي كان يحاول النهوض قبل أن يتلقى ضربة أخرى من المعدن أرجعته إلى مكانه بينما توقفت ألسنة البرق عن ضرب جسد مايكل الذي صار جثة هامدة الآن، وها هي ذي راوند تنظر إليه وقد وصل الماء إلى عنقها وبرغم دموعها تبتسم له مُوقنة أنها النظرة الأخيرة، وها هي أشيرا تسقط أزيموديوس أرضًا بضربة قوية من رمحها أسقطت خوذته من فوق رأسه قبل أن يصيح المعلم في سديم

-"لا أحد يستطيع إيقافي.. لا أحد"

قبل أن يدوي صوت حيواني مخيف في المكان مجيبًا إياه

-"أنا أستطيع!!"

اهتزت الأرض وارتجت بعنف، عصفت الرياح وتهاوت الكثبان الرملية قبل أن تتشقق الأرض ومن ذلك الشق خرج بجسده العضلي المهيب في يمناه صولجان ذهبي مُطلسم -يعلوه مفتاح الحياة - يتألق وفي يسراه حربة ذهبية اللون هي الأخري وقف هناك رافعًا رأسه بشموخ قبل أن يزمجر بعنف كاشفًا عن أنياب ابن آوى.

-"إنه أنوبيس!"

بذهول صاح بها المعلم آصف بينما توجهت أنظار أنوبيس إلى سديم وتلك المكعبات الزجاجية فتألق الصولجان الذهبي حتى كاد نوره يُعمي الأبصار ولما انقشع أخيرًا كانت المكعبات قد اختفت والسلاسل تاركة مُصابيها، هرع سديم ناحية راوند التي كانت تبصق الماء الذي ابتلعته بينما حاولت أشيرا استجلاب ضبابها المهلك فأبى أن يطاوعها فانقضت على أنوبيس، بدقة ومهارة ألقى أنوبيس الحربة تجاهها صعدت الحربة إلى عنان السماء

قبل أن تهوى مخترقة كتفها، غرس الصولجان في الأرض فزاد بريقه ثم انقض عليها منشبًا أنيابه في رقبتها، ظل يزمجر ويجذبها بعنف من خصرها حتى تمكن أخيرًا من فصل رأس العسقلة عن جسدها الأنثوي العاري قبل أن ينهض والدم يقطر من أنيابه.

-"ليس هذه المرة!"

صاح بها المعلم بغل قبل أن يوجه لسانًا من البرق تجاه أنوبيس بينما شاركه أزيموديوس - الذي نهض لتوه- الهجوم ملقيًا كرة عظيمة من النار تجاه أنوبيس الذي شلته المفاجأة وقبل أن يصيبه هذا الخليط المميت محولًا إياه إلى أشلاء بلحظة ظهرت أمام صدره عين حورس، تلك العين الفرعونية الشهيرة ممتصة كل ما كان متوجهًا إليه، ابتسم أنوبيس ابتسامة حيوانية قاسية قبل أن تظهر حولهم مئات من تلك العيون المتألقة..عين حورس!!

انطلقت من عيون حورس تلك عشرات السلاسل الذهبية المتألقة في اتجاه المعلم آصف الذي حاول بكل ما أُوتي من قوة أن يتفاداها قبل أن تتمكن منه أخيرًا، وفوقهم تمامًا ظهر في السماء دائرة نورانية عظيمة ظلت تنمو وتتضخم ويزداد وهجها تدريجيًا حتى أحالت الليل نهارًا.

ثم عبر هذه الدائرة فاردًا جناحين مهيبين للغاية وهو يطلق نعيقًا عاليًا مخيفًا، طائر عملاق مشتعل...

طائر العنقاء..!

وفي أقدام ذلك الطائر تعلق جسد مضيء لا يقل إضاءة عن تلك الدائرة التي خرج منها قبل أن يفلت قدم الطائر ويحط على الأرض بزيه الملكي وتاجه الذهبي اللامع، لم يكن ذلك إلا أزوريس، إله العالم السفلي عند

الفراعين، على الفور ركع أنوبيس أمامه وعلى الناحية الأخرى حاول أزيموديوس الهروب فتداركه الطائر العملاق محيطًا إياه بعاصفة نارية، تقدم أزوريس من المعلم آصف الساقط على الأرض يطالعه في ذهول قبل أن يصيح فيه بصوت جمد الدم في عروق كل الحاضرين

"لقد أفسدت في الأرض وهددت مملكتنا العظيمة التي لن تندثر أبدًا وحان الوقت لتنال جزاء المفسدين" على الفور تجمعت عيون حورس المنتشرة في السماء حولهم مشكلة لوحًا ذهبيًا مهيبًا ثم وكأن تلك السلاسل التي تقيد آصف ذاتية الإرادة ارتفعت عن الأرض بجسده الذي تيبس من الصدمة فلم يقو حتى على الرد ذاهبة به إلى اللوح الذهبي، مرت لحظات معدودة حتى امتص اللوح المعلم الذي ظهر عليه الآن كنقش لكائن مذعور

اقترب أزوريس ومن خلفه أنوبيس من المكان المشتعل الذي يحوي أزيموديوس، ظهرت فرجة في ذلك الإعصار الناري الضخم فمرّا منها متوجهين إلى أزيموديوس الذي حاول بشتى الطرق أن يهرب فلم يُوفق.

صاح فيه أزوريس

-"أحمق أنت أكنت تعتقد أن مملكتنا العظيمة سوف تنتهي ؟ لقد اخترت المكان الخطأ ثانية بيد أن هذه المرة هي الأخيرة، لقد أمهلناك لتفكر فيما أثمت يداك لكن يبدو أنه لا مكان لك في هذه الحياة".

اقترب أزوريس من أزيموديوس فقام بإمساكه من تلابيبه رافعًا إياه إلى مستوى نظره قبل أن يصيح فيه

- "انظر لعيني الآن ذق مصير كل روح أهلكتها"

وكأنه مسلوب الإرادة نظر أزيموديوس في عيون أزوريس المُتقدة فبدت عليه أمارات الألم ومن حلقه خرجت صرخة شيطانية كأنها صرخة ألف روح تعذب

صرخة آلاف الأرواح التي أهلكها وحان وقت قضاء دينها منه، قبل أن يُسقطه أزوريس على الأرض جثة هامدة – ذو عينين متحجرتين– لا حياة فيها، هدأت العاصفة النارية أخيرًا وكذلك الأجواء وكأن الطبيعة عادت لسيرتها بعد هلاك الطاغية، اقترب أزوريس من سديم القابع على الأرض بجوار جثة صديقه ومن حوله راوند ويولاند، سارع الثلاثة في الانحناء فنهاهم بإشارة من يده قبل أن يوجه كلامه إلى سديم قائلًا

-"لقد عانيت الكثير أيها الأمير الشاب وقد حان وقت الراحة أخيرًا، كما أعتقد أن هذا يخصكم"

ثم أشار ناحية اللوح الذي خُتم فيه آصف بن ميخائيل.

هز سديم رأسه وهو لا يقوى على الرد، ابتسم له أزوريس ثم قال "أبلغ سلامي لوالدك" ثم انصرف، اقترب أنوبيس من سديم ووضع في يده تميمة ما تشبه المسلة إلى حد كبيرثم قال له "استعملها بحرص" قبل أن يلحق بسيده ومن خلفهما انبثق ضوء ذهبي لامع كضوء الشمس وعندما انقشع أخيرًا كان سديم ورفاقه وكذلك اللوح قد عادوا إلى جُرف دوفر.

استند سديم على راوند التي انهمرت دموعها لإيقانها أن الفراق دان لا محالة، اعتدل في وقفته قبل أن يلثمها بقبلة طويلة على جبهتها وأخرى على يدها، أما هي فألقت نفسها إليه معانقة دافنة رأسها في صدره وهي تبكي، همس لها سديم

-"إنه ليعز علي فراقك لكن هذه الفوضى يجب أن يتم إصلاحها من أجل سلامتك ومن أجل كل الأبعاد كذلك".

سألته بعيون دامعة

-"هل ستعود؟"

فابتسم لها ثم قا

-ل "لن أذهب أبدًا سأظل معكِ هنا" ثم أشار بيده إلى قلبها.

احتضنها مرة أخرى، مرة طالت عن مثيلاتها من المرات، قبل يدها ثم توجه إلى حيث يقف يولاند حاملًا جثة مايكل بجانب اللوح الذي خُتم فيه قاتله، وصل إلى هناك فاستدار يطالعها قبل أن يعود إلى عالمه منتصرًا لكن بأي نتيجة!

صاح بصوت عالٍ "راوند.. إنك شمس والنساء كواكبُ إذا طلعت لم يبد منهم كوكبُ".

ثم ختم عبارته الغزلية تلك بأن صاح مرة أخرى بصوت أرق

- "أنا أحبك"..

وقفت ترمقه والدموع تنهمر منها قبل أن تسأله

-"إذا ناديت عليك هل ستسمعني؟"

نظر ناحية النجوم ثم صاح..

-"قولي سديم، فقط.. سديم"

قبل أن يتحول هو ويولاند واللوح إلى ضباب سرعان ما اختفي من المكان، وصوته يتردد في جنبات عقلها

-"راوند عاصمة القلوب ومهد الأرواح"

تمت بحمد الله

الفهرس

ما قبل البداية ٤
إنهم هنا!... ٥
أكنان كانوم.. ٨
إيجريتين... ١٥
من أجلنا... ١٩
مدينة الضباب... ٢٦
استجلاء الضباب... ٣٣
ستكونين.. ٤١
نبراس ٤٨
خُطايا.. ٥٥
من زمن سحيق... ٦٢
الحسناء ٧٣
ذاك الغريب! ٨٢
سحرُها... ٩٦
نهاية شجية ١٠٨
أبطال آخرون... ١٢١
البداية من جديد.. ١٤٢
الآن تفهم ١٦٠

سفير الهلاك ١٨٣
على مشارف الهلاك ١٩٦